

(٧٦٣)

مبتكرات القرآن

من تفسير التحرير والتنوير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

١-"آيات القرآن

الآية: هي مقدار من القرآن مركب ولو تقديرا أو إلحاقا، فقولي ولو تقديرا لإدخال قوله تعالى ﴿مدهامتان﴾ [الرحمن:٦٤] إذ التقدير هما مدها متان، ونحو ﴿والفجر﴾ [الفجر:١] إذ التقدير أقسم بالفجر. وقولي أو إلحاقا: لإدخال بعض فواتح السور من الحروف المقطعة فقد عد أكثرها في المصاحف آيات ما عدا: آلر، وآلمر، وطس، وذلك أمر توقيفي وسنة متبعة ولا يظهر فرق بينها وبين غيرها. وتسمية هذه الأجزاء آيات هو من مبتكرات القرآن، قال تعالى ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ [آل عمران: ٧] وقال ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت﴾ [هود: ١]. وإنما سميت آية لأنها دليل على أنها موحى بها من عند الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنها تشتمل على ما هو من الحد الأعلى في بلاغة نظم الكلام، ولأنها لوقوعها مع غيرها من الآيات جعلت دليلا على أن القرآن منزل من عند الله وليس من تأليف البشر إذ قد تحدى النبي به أهل الفصاحة والبلاغة من أهل اللسان العربي فعجزوا عن تأليف مثل سورة من سوره. فلذا لا يحق لجمل التوراة والإنجيل أن تسمى آيات إذ ليست فيها هذه الخصوصية في اللغة العبرانية والآرامية. وأما ما ورد في حديث رجم اليهوديين اللذين زنيا من قول الراوي فوضع الذي نشر التوراة يده على آية الرجم فذلك تعبير غلب على لسان الراوي على وجه المشاكلة التقديرية تشبيها بجمل القرآن، إذ لم يجد لها اسما يعبر به عنها.

وتحديد مقادير الآيات مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تختلف الرواية في بعض الآيات وهو محمول على التخيير في حد تلك الآيات التي تختلف فيها الرواية في تعيين منتهاها ومبتدإ ما بعدها. فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على علم من تحديد الآيات. قلت وفي الحديث الصحيح أن فاتحة الكتاب السبع المثاني أي السبع الآيات. وفي الحديث "من قرأ العشر الخواتم من آخر آل عمران" الحديث. وهي الآيات التي أولها ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ [آل عمران:١٩٠] إلى آخر السورة.

وكان المسلمون في عصر النبوة وما بعده يقدرون تارة بعض الأوقات بمقدار ما يقرأ القارئ عددا من الآيات كما ورد في حديث سحور النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان بينه وبين طلوع الفجر مقدار ما يقرأ القارئ خمسين آية.

قال أبو بكر ابن العربي وتحديد الآية من معضلات القرآن، فمن آياته طويل". [(١)]

٢-"معط لكل فن ما يليق به من المعاني والألفاظ واللهجة: فتضمن المحاورة والخطابة والجدل والأمثال أي الكلم الجوامع والقصص والتوصيف والرواية.

وكان لفصاحة ألفاظه وتناسبها في تراكيبه وترتيبه على ابتكار أسلوب الفواصل العجيبة المتماثلة في الأسماع وإن لم تكن متماثلة الحروف في الأسجاع، كان لذلك سريع العلوق بالحوافظ خفيف الانتقال والسير في القبائل، مع كون مادته ولحمته هي الحقيقة دون المبالغات الكاذبة والمفاخرات المزعومة، فكان بذلك له صولة الحق وروعة لسامعيه، وذلك تأثير روحاني وليس بلفظي ولا معنوي.

---

(١) التحرير والتنوير ٧٣/١

وقد رأيت المحسنات في البديع جاءت في القرآن أكثر مما جاءت في شعر العرب، وخاصة الجناس كقوله ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ .

والطباق كقوله ﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾ [الحج:٤]

وقد ألف ابن أبي الإصبع كتابا في بديع القرآن. وصار لمجيئه نثرا أدبا جديدا غضا ومتناولا لكل الطبقات. وكان لبلاغته وتناسقه نافذ الوصول إلى القلوب حتى وصفوه بالسحر وبالشعر ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ [الطور:٣٠]

مبتكرات القرآن

هذا وللقرآن **مبتكرات** تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب.

فمنها أنه جاء على أسلوب يخالف الشعر لا محالة وقد نبه عليه العلماء المتقدمون. وأنا أضم إلى ذلك أن أسلوب الخطابة بعض المخالفة، بل جاء بطريقة كتاب يقصد حفظه وتلاوته، وذلك من وجوه إعجازه إذ كان نظمه على طريقة **مبتكرة** ليس فيها اتباع لطرائقها القديمة في الكلام.

وأعد من ذلك أنه جاء بالجمل الدالة على معان مفيدة محررة شأن الجمل العلمية والقواعد التشريعية، فلم يأت بعموميات شأنها التخصيص غير مخصوصة، ولا بمطلقات تستحق التقييد غير مقيدة، كما كان يفعله العرب لقلة اكتراثهم بالأحوال القليلة والأفراد النادرة. مثاله قوله تعالى ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون﴾ وقوله ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص: ٥٠] فبين أن الهوى قد يكون محمودا إذا كان هوى المرء عن هدى، وقوله ﴿إن الأنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا﴾ [العصر: ٢,٣]." (١)

٣-"[المدثر:٣] حيث قال ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل مهما كان فلا تدع تكبيره. فالمعنى هنا وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ومهما يكن شيء فإياي ارهبوني، فلما حذفت جملة الشرط بعد واو العطف بقيت فاء الجواب موالية لواو العطف فزحلقت إلى أثناء الجواب كراهية توالي حرفين فقيل: ﴿وإياي فارهبون﴾ بدلا عن أن يقال فارهبون. والتعليق على الشرط العام يستلزم تحقق وقوع الجواب لأن التعليق الشرطي بمنزلة ربط المسبب بالسبب فإذا كان المعلق عليه أمرا محقق الوقوع لعدم خلو الحدثان عنه تعين تحقق وقوع المعلق، وهذا مبني على مذهب سيبويه في باب الأمر والنهي يختار فيهما النصب في الاسم الذي يبني عليه الفعل وذلك مثل قولك زيدا اضربه ومثل ذلك أما زيدا فاقتله فإذا قلت زيد فاضربه لم يستقم أن تحمله على الابتداء ألا ترى أنك لو قلت زيد فمنطلق لم يستقم، ثم أشار إلى أن الفاء هنا في معنى فاء الجزاء فمن ثم جزم الزمخشري بأن هاته الفاء مهما وجدت في الاشتغال دلت على شرط عام محذوف وإن الفاء كانت داخلة على الاسم فزحلقت على حكم فاء جواب أما الشرطية١ وأحسب أن مثل هذا التركيب من **مبتكر** أساليب القرآن ولم أذكر أني عثرت على مثله في كلام العرب.

ومما يؤيد ما ذهب إليه صاحب الكشاف المبني على كلام سيبويه من اعتبار الفاء مشعرة بشرط مقدر، أن غالب مواقع

---

(١) التحرير والتنوير ١١٧/١

هاته الفاء المتقدم معها المفعول على مدخلها أن تقع بعد نهي أو أمر يناقض الأمر والنهي الذي دخلت عليه تلك الفاء نحو قوله تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت﴾ إلى قوله: ﴿بل الله فاعبد﴾ [الزمر: ٦٦,٥٦] وقول الأعشى: "ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا" فكان ما يتقدم هاته الفاء يتولد منه شرط في المعنى وكانت الفاء مؤذنة بذلك الشرط وعلامة عليه فلأجل كونه مدلولا عليه بدليلين

–

١ وقيل إن الفاء في مثل هذا عاطفة على محذوف، فقال السيرافي في "شرح الكتاب" إن الفاء تدل على فعل من شأنه أن يكون سببا فيما دخلت عليه الفاء، ففي نحو زيدا فاضرب تأهب فاضرب زيدا أو نحوه فلما حذف المعطوف عليه قدم معمول الفعل ليكون عوضا عن المعطوف عليه المحذوف ولأجل كون تقديمه لعلةصح إعماله ما بعد الفاء فيه كما أعمل ما بعد الفاء الواقعة في جواب أما فيما قبلها لأنه قدم ليحل محل فعل الشرط. وعلى هذا القول فالتقديم ليس لقصد تخصيص ولا تقو. وقال صاحب "المفتاح" الفاء عطفت الفعل على فعل مثله للتقوى والمفعول المذكور مفعول الفعل المحذوف، والتقدير اضرب زيدا فاضرب، ويرد هذين أن الفاء لو كانت عاطفة لما اجتمعت مع حرف عطف في مواضع كثيرة نحو ﴿وربك فكبر وثيابك فطهر﴾ [المدثر:٤,٣]". [١]

٤–"الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة له، فقال عز من قائل ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ [السجدة: ٢٤]. وقال: ﴿وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾ [لأعراف: ١٣٧] وقال: ﴿إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٣] اه.

وأنت إذا تأملت وجدت أصل التدين والإيمان من ضروب الصبر فإن فيه مخالفة النفس هواها ومألوفها في التصديق بما هو مغيب عن الحس الذي اعتادته، وبوجوب طاعتها واحدا من جنسها لا تراه يفوقها في الخلقة وفي مخالفة عادة آبائها وأقوامها من الديانات السابقة. فإذا صار الصبر خلقا لصاحبه هون عليه مخالفة ذلك كله لأجل الحق والبرهان فظهر وجه الأمر بالاستعانة على الإيمان وما يتفرع عنه بالصبر فإنه خلق يفتح أبواب النفوس لقبول ما أمروا به من ذلك.

وأما الاستعانة بالصلاة فلأن الصلاة شكر والشكر يذكر بالنعمة فيبعث على امتثال المنعم على أن في الصلاة صبرا من جهات في مخالفة حال المرء المعتادة ولزومه حالة في وقت معين لا يسوغ له التخلف عنها ولا الخروج منها على أن في الصلاة سرا إلهيا لعله ناشئ عن تجلي الرضوان الرباني على المصلي فلذلك نجد للصلاة سرا عظيما في تجلية الأحزان وكشف غم النفس وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه بزاي وباء موحدة أي نزل به أمر فزع إلى الصلاة وهذا أمر يجده من راقبه من المصلين وقال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥] لأنها تجمع ضروبا من العبادات.

وأما كون الشكر من حيث هو معينا على الخير فهو من مقتضيات قوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [ابراهيم: ٧].

---

(١) التحرير والتنوير ٤٤١/١

وقوله: ﴿وإنها لكبيرة﴾ اختلف المفسرون في معاد ضمير ﴿إنها﴾ فقيل عائد إلى الصلاة والمعنى: إن الصلاة تصعب على النفوس لأنها سجن للنفس وقيل الضمير للاستعانة بالصبر والصلاة المأخوذة من: ﴿استعينوا﴾ على حد ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨]. وقيل راجع إلى المأمورات المتقدمة من قوله تعالى: ﴿اذكروا نعمتي﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة: ٤٥] وهذا الأخير مما جوزه صاحب الكشاف ولعله من **مبتكراته** وهذا أوضح الأقوال وأجمعها والمحامل مرادة.

والمراد بالكبيرة هنا الصعبة التي تشق على النفوس، وإطلاق الكبر على الأمر". (١)

٥-"فالوجه أن قوله: ﴿وما أنزل﴾ عطف على ﴿ملك سليمان﴾ فهو معمول لتتلوا الذي هو بمعنى تكذب فيكون المراد عدم صحة هذا الخبر أي ما تكذبه الشياطين على ما أنزل على الملكين ببابل، أي ينسبون بعض السحر إلى ما أنزل ببابل. قال الفخر وهو اختيار أبي مسلم وأنكر أبو مسلم أن يكون السحر نازلا على الملكين إذ لا يجوز أمر الله به وكيف يتولى الملائكة تعليمه مع أنه كفر أو فسق،

وقيل "ما" نافية معطوفة على "ما كفر سليمان" أي وما كفر سليمان بوضع السحر كما يزعم الذين وضعوه، ولا أنزل السحر على الملكين ببابل. وتعريف الملكين تعريف الجنس أو هو تعريف العهد بأن يكون الملكان معهودين لدى العارفين بقصة ظهور السحر، وقد قيل إن "هاروت وماروت" بدل من "الشياطين" وأن المراد بالشياطين شيطانا وضعا السحر للناس هما هاروت وماروت على أنه من إطلاق الجمع على المثنى كقوله: ﴿قلوبكما﴾ وهذا تأويل خطأ إذ يصير قوله: ﴿على الملكين﴾ كلاما حشوا.

وعلى ظاهر هذه الآية إشكال من أربعة وجوه: أحدها كون السحر منزلا إن حمل الإنزال على المعروف منه وهو الإنزال من الله، الثاني كون المباشر لذلك ملكين من الملائكة على القراءة المتواترة، الثالث كيف يجمع الملكان بين قولهما ﴿نحن فتنة﴾ وقولهما: ﴿فلا تكفر﴾ فكيف يجتمع قصد الفتنة مع التحذير من الوقوع فيها. الرابع كيف حصرا حالهما في الاتصاف بأنهما فتنة فما هي الحكمة في تصديهما لذلك لأنهما إن كانا ملكين فالإشكال ظاهر وإن كانا ملكين بكسر اللام فهما قد علما مضرة الكفر بدليل نهيهما عنه وعلما معنى الفتنة بدليل قولهما: ﴿إنما نحن فتنة﴾ فلماذا تورطا في هذه الحالة.

ودفع هذا الإشكال برمته أن الإنزال هو الإيصال وهو إذا تعدى بعلى دل على إيصال من علو واشتهر ذلك في إيصال العلم من وحي أو إلهام أو نحوهما، فالإنزال هنا بمعنى الإلهام وبمعنى الإيداع في العقل أو في الخلقة بأن يكون الملكان قد برعا في هذا السحر وابتكرا منه أساليب لم يسبق لهما تلقيها من معلم شأن العلامة المتصرف في علمه **المبتكر** لوجوه المسائل وعللها وتصاريفها وفروعها،

والظاهر عندي أن ليس المراد بالإنزال إنزال السحر إذ السحر أمر موجود من قبل ولكنه إنزال الأمر للملكين أو إنزال الوحي أو الإلهام للملكين بأن يتصديا لبث خفايا السحر بين المتعلمين ليبطل انفراد شرمذة بعلمه فيندفع الوجهان الأول

---

(١) التحرير والتنوير ٤٦٣/١

والثاني.

ثم إن الحكمة من تعميم تعليمه أن السحرة في بابل كانوا اتخذوا السحر وسيلة". (١)

٦-"الشقاق بين اليهود وبين يحيى وعيسى فرفض اليهود التعميد، وكان عيسى قد عمد الحواريين الذين آمنوا به، فتقرر في سنة النصارى تعميد من يدخل في دين النصرانية كبيرا، وقد تعمد قسطنطين قيصر الروم. حين دخل في دين النصرانية، أما من يولد للنصارى فيعمدونه في اليوم السابع من ولادته. وإطلاق اسم الصبغة على المعمودية يحتمل أن يكون من مبتكرات القرآن ويحتمل أن يكون نصارى العرب سموا ذلك الغسل صبغة، ولم أقف على ما يثبت ذلك من كلامهم في الجاهلية وظاهر كلام الراغب أنه إطلاق قديم عند النصارى إذ قال وكانت النصارى إذا ولد لهم ولد غمسوه بعد السابع في ماء معمودية يزعمون أن ذلك صبغة لهم.

أما وجه تسمية المعمودية صبغة فهو خفي إذ ليس لماء المعمودية لون فيطلق على التلطخ به مادة ص ب غ وفي دائرة المعارف الإسلامية١ أن أصل الكلمة من العبرية ص ب ع أي غطس. فيقتضي أنه لما عرب أبدلوا العين المهملة غينا معجمة لعله لندرة مادة صبغ بالعين المهملة في المشتقات وأيا ما كان فإطلاق الصبغة على ماء المعمودية أو على الاغتسال به استعارة مبنية على تشبيه وجهه تخييلي إذ تخيلوا أن التعميد يكسب المعمد به صفة النصرانية ويلونه بلونها كما يلون الصبغ ثوبا مصبوغا وقريب منه إطلاق الصبغ على عادة القوم وخلقهم وأنشدوا لبعض ملوك همدان:

وكل أناس لهم صبغة ... وصبغة همدان خير الصبغ

صبغنا على ذلك أبناءنا ... فأكرم بصبغتنا في الصبغ

وقد جعل النصارى في كنائسهم أحواضا صغيرة فيها ماء يزعمون أنه مخلوط ببقايا الماء الذي أهرق على عيسى حين عمده يحيى وأن ما تقاطر منه جمع وصب في ماء كثير ومن ذلك الماء تؤخذ مقادير تعتبر مباركة لأنها لا تخلو عن جزء من الماء الذي تقاطر من اغتسال عيسى حين تعميده كما قال في أوائل الأناجيل الأربعة.

فقوله: ﴿صبغة الله﴾ رد على اليهود والنصارى معا أما اليهود فلأن الصبغة نشأت فيهم وأما النصارى فلأنها سنة مستمرة فيهم، ولما كانت المعمودية مشروعة لهم لغلبة تأثير المحسوسات على عقائدهم رد عليهم بأن صبغة الإسلام الاعتقاد والعمل المشار إليهما

_

١ في مادة الصابئة.". (٢)

٧-"ومن في قوله: ﴿من الله﴾ ابتدائية أي شهادة عنده بلغت من جانب الله على لسان رسله. والواو عاطفة جملة ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة﴾ على جملة: ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾

---

(١) التحرير والتنوير ٦٢٢/١

(٢) التحرير والتنوير ٧٢٣/١

وهذا الاستفهام التقريري كناية عن عدم اغترار المسلمين بقولهم إن إبراهيم وأبناءه كانوا هودا أو نصارى وليس هذا احتجاجا عليهم. وقوله: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ بقية مقول القول وهو تهديد لأن القادر إذا لم يكن غافلا لم يكن له مانع من العمل بمقتضى علمه وقد تقدمت نظائر هذا في مواضع.

[١٤١] ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ [البقرة:١٣٤]

تكرير لنظيره الذي تقدم آنفا لزيادة رسوخ مدلوله في نفوس السامعين اهتماما بما تضمنه لكونه معنى لم يسبق سماعه للمخاطبين فلم يقتنع فيه بمرة واحدة ومثل هذا التكرير وارد في كلام العرب، قال لبيد:

فتنازعا سبطا يطير ضلالة ... كدخان مشعلة يشب ضرامها

مشمولة غلثت بنابت عرفج ... كدخان نار ساطع أسنامها١

فإنه لما شبه الغبار المتطاير بالنار المشبوبة واستطرد بوصف النار بأنها هبت عليها ريح الشمال وزادتها دخانا وأوقدت بالعرفج الرطيب لكثرة دخانه، أعاد التشبيه ثانيا لأنه غريب **مبتكر**.

_

١ الضمير المثنى لحمار الوحش وإتانه المذكورين في قوله قبله "أو ملمع وسقت لا حقب لاحه" ومعنى تنازعا تسابقا في غبار ممتد والسبط الطويل يعلو ظله في الشمس والمشعلة صفة موصوف محذوف أي نار والمشمولة التي هبت عليها ريح الشمال ونابت العرفج الجديد نباته، والعرفج نبت معروف.". (١)

٨-"الفضل تبع لشهواتهم وجملة ﴿والله واسع عليم﴾ عطف على جملة أن الفضل بيد الله وهو لا يخفى عليه من هو أهل لنوال فضله.

و ﴿واسع﴾ اسم فاعل الموصوف بالسعة.

وحقيقة السعة امتداد فضاء الحيز من مكان أو ظرف امتدادا يكفي لإيواء ما يحويه ذلك الحيز بدون تزاحم ولا تداخل بين أجزاء المحوي، يقال أرض واسعة وإناء واسع وثوب واسع، ويطلق الاتساع وما يشتق منه على وفاء الشيء بالعمل الذي يعمله نوعه دون مشقة يقال: فلان واسع البال، وواسع الصدر، وواسع العطاء. وواسع الخلق، فتدل على شدة أو كثرة ما يسند إليه أو يوصف به أو يتعلق به من أشياء ومعان، وشاع ذلك حتى صار معنى ثانيا.

و ﴿واسع﴾ من صفات الله وأسمائه الحسنى وهو بالمعنى المجازي لا محالة لاستحالة المعنى الحقيقي في شأنه تعالى، ومعنى هذا الاسم عدم تناهي التعلقات لصفاته ذات التعلق فهو واسع العلم، واسع الرحمة، واسع العطاء، فسعة صفاته تعالى أنها لا حد لتعلقاتها، فهو أحق الموجودات بوصف واسع، لأنه الواسع المطلق.

وإسناد وصف واسع إلى اسمه تعالى إسناد مجازي أيضا لأن الواسع صفاته ولذلك يؤتى بعد هذا الوصف أو ما في معناه من فعل السعة بما يميز جهة السعة من تمييز نحو: وسع كل شيء علما، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما. فوصفه في هذه

---

(١) التحرير والتنوير ٧٢٨/١

الآية بأنه واسه هو سعة الفضل لأنه وقع تذييلا لقوله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
وأحسب أن وصف الله بصفة واسع في العربية من مبتكرات القرآن.
وقوله: ﴿عليم﴾ صفة ثانية بقوة علمه أي كثرة متعلقات صفة علمه تعالى.
ووصفه بأنه عليم هنا لإفادة أنه عليم بمن يستأهل أن يؤتيه فضله ويدل على علمه بذلك ما يظهر من آثار إرادته وقدرته الجارية على وفق علمه متى ظهر للناس ما أودعه الله من فضائل في بعض خلقه، قال تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام: ١٢٤].
وجملة ﴿يختص برحمته من يشاء﴾ بدل بعض من كل لجملة ﴿إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ فإن رحمته بعض مما هو فضله.
وجملة ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ تذييل وتقدم تفسير نظيره عند قوله تعالى: ﴿والله". (١)

٩-"مبتكرات القرآن، وقريب منها قولك ﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ [الممتحنة: ٤] وسيجيء قريب منها في قوله الآتي: ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾ [آل عمران: ١٥٤] ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾ [آل عمران: ١٥٤] فإن كانت حكاية قولهم بلفظه، فقد دل على أن هذه الكلمة مستعملة عند العرب، وإن كان حكاية بالمعنى فلا.
وقوله: ﴿فإنهم ظالمون﴾ إشارة إلى أنهم بالعقوبة أجدر، وأن التوبة عليهم إن وقعت فضل من الله تعالى.
﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾ [١٢٩] تذييل لقوله: ﴿أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾ مشير إلى أن هذين الحالين على التنويع بين المشركين، ولما كان مظنة التطلع لمعرفة تخصيص فريق دون فريق، أو تعميم العذاب، ذيله بالحوالة على إجمال حضرة الإطلاق الإلهية، لأن أسرار تخصيص كل أحد بما يعين له، أسرار خفية لا يعلمها إلا الله تعالى، وكل ميسر لما خلق الله.
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون[١٣٠] واتقوا النار التي أعدت للكافرين[١٣١] وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ [١٣٢].
لولا أن الكلام على يوم أحد لم يكمل، إذ هو سيعاد عند قوله تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ إلى قوله: ﴿يستبشرون بنعمة من الله..﴾ [آل عمران: ١٧١] الآية لقلنا إن قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾ اقتضاب تشريع، ولكنه متعين لأن نعتبره استطرادا في خلال الحديث عن يوم أحد، ثم لم يظهر وجه المناسبة في وقوعه في هذا الأثناء. قال ابن عطية: ولا أحفظ سببا في ذلك مرويا. وقال الفخر: من الناس من قال: لما أرشد الله المؤمنين إلى الأصلح لهم في أمر الدين والجهاد أتبع ذلك بما يدخل في الأمر والنهي فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾ فلا تعلق لها بما قبلها.
وقال الفقهاء: لما أتفق المشركون على جيوشهم أموالا جمعوها من الربا، خيف أن يدعو ذلك المسلمين إلى الإقدام على

(١) التحرير والتنوير ٣/١٣٠

الربا. وهذه مناسبة مستبعدة. وقال أبن عرفة: لما ذكر اله وعيد الكفار عقبه ببيان أن الوعيد لا يخصهم بل يتناول العصاة، وذكر أحد صور". (١)

١٠-"وأطلقت الجهل على عدم العلم قال السموأل:

فليس سواء عالم وجهول

وقال النابغة:

وليس جاهل شيء مثل من علما

وأحسب أن لفظ الجاهلية من **مبتكرات** القرآن، وصف به أهل الشرك تنفيرا من الجهل، وترغيبا في العلم، ولذلك يذكره القرآن في مقامات الذم في نحو قوله: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ [المائدة: ٥٠] ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ [الأحزاب: ٣٣] ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ [الفتح: ٢٦[. وقال أبن عباس: سمعت أبي في الجاهلية يقول: اسقنا كأسا دهاقا، وفي حديث حكيم بن حزام: أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يتحنث بها في الجاهلية من صدقة وعتاقة وصلة رحم، وقالوا: شعر الجاهلية، وأيام الجاهلية. ولم يسمع ذلك كله إلا بعد نزول القرآن وفي كلام المسلمين.

وقوله: ﴿غير الحق﴾ منتصب على أنه مفعول ﴿يظنون﴾ كأنه قيل الباطل. وانتصب قوله: ﴿ظن الجاهلية﴾ على المصدر المبين للنوع إذ كل أحد يعرف عقائد الجاهلية إن كان متلبسا بها أو تاركا لها.

وجملة ﴿يخفون﴾ حال من الضمير في ﴿يقولون﴾ أي يقولون ذلك في حال نيتهم غير ظاهره، ف ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾ إعلان بنفاقهم، وأن قولهم ﴿هل لنا من الأمر من شيء﴾ وقولهم: ﴿لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾ هو وإن كان ظاهره صورة العتاب عن ترك مشورتهم فنيتهم منه تخطئة النبي في خروجه بالمسلمين إلى أحد، وأنهم أسد رأيا منه.

وجملة ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء﴾ بدل اشتمال من جملة ﴿يخفون في أنفسهم﴾ إذ كانوا قد قالوا ذلك فيما بينهم ولم يظهروه، أو هي بيان لجملة ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾ إذا أظهروا قولهم للمسلمين، فترجع الجملة إلى معنى بدل الاشتمال من جملة ﴿يظنون﴾ لأنها لما بينت جملة هي بدل فهي أيضا كالتي بينتها، وهذا أظهر لأجل قوله بعده ﴿قل لو كنتم في بيوتكم﴾ فإنه يقتضي أن تلك المقالة فشت وبلغت الرسول، ولا يحسن كون جملة ﴿يقولون لو كان﴾ إلى آخره مستأنفة خلافا لما في الكشاف .". (٢)

١١-"يكون إلا بما تجره إلى نفسها من سوء فعلها، بخلاف فناء الأفراد فإنه نهاية محتمة ولو استقام المرء طول حياته، لأن تركيب الحيوان مقتض للانتهاء بالفناء عند عجز الأعضاء الرئيسية عن إمداد البدن بمواد الحياة فلا يكون عقابا إلا

---

(١) التحرير والتنوير ٢١٦/٣

(٢) التحرير والتنوير ٢٥٩/٣

فيما يحف به من أحوال الخزي للهالك.

والذنوب هنا هي الكفر وتكذيب الرسل ونحو ذلك مما دل عليه التنظير بحال الذين قال الله فيهم هنا ﴿ربهم يعدلون﴾﴿ثم أنتم تمترون﴾﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم﴾ ، وما قاله بعد ذلك: ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس﴾ الآية.

وقوله: ﴿وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾: الإنشاء الإيجاد المبتكر، قال تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾. والمراد به إنشاؤهم بتلك الصفات التي كان عليها القرن الذين من قبلهم من التمكين في الأرض والإسعاف بالخصب، فخلفوا القرن المنقرضين سواء كان إنشاؤهم في ديار القوم الذين هلكوا، كما أنشأ قريشا في ديار جرهم، أم في ديار أخرى كما أنشأ الله ثمودا بعد عاد في منازل أخرى.والمقصود من هذا تعريض بالمشركين بأن الله مهلكهم ومنشئ من بعدهم قرن المسلمين في ديارهم.ففيه نذارة بفتح مكة وسائر بلاد العرب على أيدي المسلمين.وليس المراد بالإنشاء الولادة والخلق، لأن ذلك أمر مستمر في البشر لا ينتهي، وليس فيه عظة ولا تهديد للجبابرة المشركين،وأفرد ﴿قرنا﴾ مع أن الفعل الناصب له مقيد بأنه من بعد جمع القرون، على تقدير مضاف، أي أنشأنا من بعد كل قرن من المهلكين قرنا آخرين.

[٧] ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ يجوز أن تكون الواو عاطفة والمعطوف عليه جملة ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ الخ، وما بينهما جملا تعلقت بالجملة الأول ى على طريقة الاعتراض، فلما ذكر الآيات في الجملة الأول ى على وجه العموم ذكر هنا فرض آية تكون أوضح الآيات دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم، وهي أن ينزل الله عليه كتابا من السماء على صورة الكتب المتعارفة، فرأوه بأبصارهم ولمسوه بأيديهم لما آمنوا ولا دعوا أن ذلك الكتاب سحر.

ويجوز أن تكون الواو للحال من ضمير ﴿كذبوا﴾ في قوله: ﴿فقد كذبوا بالحق لما". (١)

١٢-"ومال إلى الأرض، والكلام تمثيل لحال المتلبس بالنقائص والكفر بعد الإيمان والتقوى، بحال من كان مرتفعا عن الأرض فنزل من اعتلاء إلى أسفل فبذكر الأرض علم أن الإخلاد هنا ركون إلى السفل أي تلبس بالنقائص والمفاسد. واتباع الهوى ترجيح ما يحسن لدى النفس من النقائص المحبوبة، على ما يدعو إليه الحق والرشد، فالاتباع مستعار للاختيار والميل، والهوى شاع في المحبة المذمومة الخاسرة عاقبتها.

وقد تفرع على هذه الحالة تمثيله بالكلب اللاهث، لأن اتصافه بالحالة التي صيرته شبيها بحال الكلب اللاهث تفرع على إخلاده إلى الأرض واتباع هواه، فالكلام في قوة أن يقال: ولكنه أخلد إلى الأرض فصار في شقاء وعناد كمثل الكلب إلخ. واستعمال القرآن لفظ المثل بعد كاف التشبيه مألوف بانه يراد به تشبيه الحالة بالحالة، وتقدم قوله تعالى: ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا﴾ في سورة البقرة [١٧]، فلذلك تعين أن التشبيه هنا لا يخرج عن المتعارف في التشبيه المركب، فهذا الضال تحمل كلفة اتباع الدين الصالح وصار يطلبه في حين كان غير مكلف بذلك في زمن الفترة فلقي من ذلك نصبا

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/٦

وعناء، فلما حان حين اتباع الحق ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم تحمل مشقة العناد والإعراض عنه في وقت كان جديرا فيه بان يستريح من عنائه لحصول طلبته فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الموصوف باللهث، فهو يلهث في حالة وجود أسباب اللهث من الطرد والإرهاب والمشقة وهي حالة الحمل عليه، وفي حالة الخلو عن ذلك السبب وهي حالة تركه في دعة ومسالمة والذي ينبه على هذا المعنى هو قوله ﴿أو تتركه﴾ .

وليس لشيء من الحيوان حالة للتشبيه بها في الحالتين غير حالة الكلب اللاهث لأنه يلهث إذا أتعب وإذا كان في دعة فاللهث في أصل خلقته.

وهذا التمثيل من مبتكرات القرآن فان اللهث حالة تؤذن بحرج الكلب من جراء عسر تنفسه عن اضطراب باطنه وان لم يكن لاضطراب باطنه سبب آت من غيره فمعنى ﴿إن تحمل عليه﴾ أن تطارده وتهاجمه.مشتق من الحمل الذي هو الهجوم على أحد لقتاله، يقال حمل فلان على القوم حملة شعواء أو حملة منكرة، وقد أغفل المفسرون توضيحه وأغفل الراغب في مفردات القرآن هذا المعنى لهذا الفعل.

فهذا تشبيه تمثيل مركب منتزعة فيه الحالة المشبهة والحالة المشبه بها من متعدد،". (١)

١٣-"والخطاب في قوله: ﴿وتراهم﴾ لمن يصلح أن يخاطب فهو من خطاب غير المعين.

ومعنى ينظرون إليك على التشبيه البليغ، أي تراهم كأنهم ينظرون إليك، لأن صور كثير من الأصنام كان على صور الأناسي وقد نحتوا لها أمثال الحدق الناظرة إلى الواقف أمامها قال في الكشاف لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه.

[١٩٩] ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾.

أشبعت هذه السورة من أفانين قوارع المشركين وعظتهم وإقامة الحجة عليهم وبعثتهم على التأمل والنظر في دلائل وحدانية الله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وهدى دينه وكتابه وفضح ضلال المشركين وفساد معتقدهم والتشويه بشركائهم، وقد تخلل ذلك كله لتسجيل بمكابرتهم، والتعجيب منهم كيف يركبون رؤوسهم، وكيف يناوون بجانبهم، وكيف يصمون أسماعهم، ويغمضون أبصارهم عما دعوا إلى سماعه وإلى النظر فيه، ونظرت أحوالهم بأحوال الأمم الذين كذبوا من قبلهم، وكفروا نعمة الله فحل بهم ما حل من أصناف العذاب، وأنذر هؤلاء بأن يحل بهم ما حل بأولئك، ثم أعلن باليأس من ارعوائهم، وبانتظار ما سيحل بهم من العذاب بأيدي المؤمنين، وبتثبيت الرسول والمؤمنين وتبشيرهم والثناء على ما هم عليه من الهدى، فكان من ذلك كله عبرة للمتبصرين، ومسلاة للنبي وللمسلمين، وتنويه بفضلهم وإذ قد كان من شأن ذلك أن يثير في أنفس المسلمين كراهية أهل الشرك وتحفزهم للانتقام منهم ومجافاتهم والإعراض عن دعائهم إلى الخير، لا جرم شرع في استئناف غرض جديد، يكون ختاما لهذا الخوض البديع، وهو غرض أمر الرسول والمؤمنين بقلة المبالاة بجفاء المشركين وصلابتهم، وبأن يسعوهم من عفوهم والدأب على محاولة هديهم والتبليغ إليهم بقوله: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ الآيات.

---

(١) التحرير والتنوير ٨/٣٥٣

والأخذ حقيقته تناول شيء للانتفاع به أو لاضراره، كما يقال: أخذت العدو من تلأبيبه، ولذلك يقال في الأسير أخيذ، ويقال للقوم إذا أسروا أخذوا واستعمل هنا مجازا فاستعير للتلبس بالوصف والفعل من بين أفعال لو شاء لتلبس بها، فيشبه ذلك التلبس واختياره على تلبس آخر بأخذ شيء من بين عدة أشياء، فمعنى خذ العفو: عامل به واجعله وصفا ولا تتلبس بضده.وأحسب استعارة الأخذ للعرف من **مبتكرات** القرآن ولذلك ارجع أن البيت المشهور وهو:". (١)

١٤-"**مبتكرات** القرآن.

وجواب شرط ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ دلت عليه الجمل المتقدمة من قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ إلى أخرها، لأن الشرط لما وقع عقب تلك الجمل كان راجعا إلى جميعها على ما هو المقرر في الاستعمال، فمعنى الشرط بعد تلك الجمل الإنشائية: إنا أمرناكم بما ذكر إن كنتم مؤمنين لأنا لا نأمر بذلك غير المؤمنين، وهذا إلهاب لنفوسهم على الامتثال، لظهور أن ليس المراد: فإن لم تكونوا مؤمنين فلا تتقوا الله ورسوله، ولا تصلحوا ذات بينكم، ولا تطيعوا الله ورسوله، فإن هذا معنى لا يخطر ببال أعل اللسان ولا يسمح بمثله الاستعمال.

وليس الإتيان في الشرط ﴿بأن﴾ تعريضا بضعف إيمانهم ولا بأنه مما يشك فيه من لا يعلم ما تخفي صدورهم، بناء على أن شأن ﴿إن﴾ عدم الجرم بوقوع الشرط بخلاف إذا على ما تقرر في المعاني، ولكن اجتلاب ﴿إن﴾ في هذا الشرط للتحريض على إظهار الخصال التي يتطلبها الإيمان وهي: التقوى الجامعة لخصال الدين، وإصلاح ذات بينهم، والرضى بما فعله الرسول، فالمقصود التحريض على أن يكون إيمانهم في أحسن صوره ومظاهره، ولذلك عقب هذا الشرط بجملة القصر في قوله: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال: ٢] كما سيأتي.

[٢] ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾.

﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾.

موقع هذه الجملة وما عطف عليها موقع التعليل لوجوب تقوى الله وإصلاح ذات بينهم وطاعتهم الله ورسوله، لأن ما تضمنته هذه الجمل التي بعد ﴿إنما﴾ من شأنه أن يحمل المتصفين به على الامتثال لما تضمنته جمل الأمر الثلاث السابقة، وقد اقتضى ظاهر القصر المستفاد من ﴿إنما﴾ أن من لم يجل قلبه إذا ذكر الله، ولم تزده تلاوة آيات الله إيمانا مع إيمانه، ولم يتوكل على الله، ولم يقم الصلاة، ولم ينفق، لم يكن موصوفا بصفة الإيمان، فهذا ظاهر مؤول بما دلت عليه أدلة كثيرة من الكتاب والسنة من أن الإيمان لا ينقضه إلا خلال ببعض الواجبات كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ [الأنفال: ٤] فتعين أن القصر ادعاءي بتنزيل الإيمان الذي عدم الواجبات العظيمة منزلة العدم،". (٢)

١٥-"بأنهم لم يتفهموا مراد الرسول صلى الله عليه وسلم، حين استشارهم، وأخبرهم بان العير سلكت طريق الساحل فكان ذلك كافيا في أن يعلموا أن الطائفة الموعود بها تمحضت أنها طائفة النفير. وكان الشأن أن يظنوا بوعد الله أكمل

---

(١) التحرير والتنوير ٣٩٨/٨

(٢) التحرير والتنوير ١٤/٩

الأحوال، فلما أراد الله تسكين روعهم، وعدهم بنصرة الملائكة علما بأنه لا يطمئن قلوبهم إلا ذلك. وجعل الفخر: التقديم هنا لمجرد الاهتمام بذلك الوعد، وذلك من وجوه التقديم لكنه وجه تأخيره في آل عمران بما هو غير مقبول.

ثالثها: أنه قال في سورة آل عمران [١٢٦] ﴿العزيز الحكيم﴾ فصاغ الصفتين العليتين في صيغة النعت، وجعلهما في هذه الآية في صيغة الخبر المؤكد، إذ قال: ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ فنزل المخاطبين منزلة من يتردد في أنه تعالى موصوف بهاتين الصفتين: وهما العزة، المقتضية أنه إذا وعد بالنصر لم يعجزه شيء، والحكمة. فما يصدر من جانبه يجب غوص الأفهام في تبين مقتضاه، فكيف لا يهتدون إلى أن الله لما وعدهم الظفر بإحدى الطائفتين وقد فاتتهم العير أن ذلك آيل إلى الوعد بالظفر بالنفير.

وجملة: ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ مستأنفة استئنافا ابتدائيا جعلت كالأخبار بما ليس بمعلوم لهم.

[١١] ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾.

لقد أبدع نظم الآيات في التنقل من قصة إلى أخرى من دلائل عناية الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين، فقرنها، في قرن زمانها، وجعل ينتقل من إحداها إلى الأخرى بواسطة إذ الزمانية، وهذا من أبدع التخلص، وهو من مبتكرات القرآن فيما أحسب.

ولذلك فالوجه أن يكون هذا الظرف مفعولا فيه لقوله: ﴿وما النصر﴾ [الأنفال: ١٠] فإن إغشاءهم النعاس كان من أسباب النصر، فلا جرم أن يكون وقت حصوله ظرفا للنصر.

والغشي والغشيان كون الشيء غاشيا أي غاما ومغطيا، فالنوم يغطي العقل.

والنعاس النوم غير الثقيل، وهو مثل السنة.

وقرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿يغشيكم﴾ ، بضم التحتية وسكون الغين وتخفيف الشين بعدها ياء مضارع أغشاه وبنصب ﴿النعاس﴾ والتقدير إذ يغشيكم الله النعاس، والنعاس". (١)

١٦-"من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾.

عطف قصة على قصة، فلا يلزم أن تكون هذه القصة حاصلة في الوجود بعد التي قبلها. وقد كان هذا الحادث قبل إيتائه النبوة لأن إيتاء النبوة غلب أن يكون في سن الأربعين. والأظهر أنه أوتي النبوة والرسالة بعد دخول أهله إلى مصر وبعد وفاة أبيه. وقد تعرضت الآيات لتقرير ثبات يوسف - عليه السلام - على العفاف والوفاء وكرم الخلق.

فالمراودة المقتضية تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة، والمفاعلة مستعملة في التكرير. وقيل: المفاعلة تقديرية بأن اعتبر العمل من جانب والممانعة من الجانب الآخر من العمل بمنزلة مقابلة العمل بمثله. والمراودة: مشتقة من راد يرود، إذا جاء وذهب. شبه

---

(١) التحرير والتنوير ٩/٣٥

حال المحاول أحدا على فعل شيء مكررا ذلك بحال من يذهب ويجيء في المعاودة إلى الشيء المذهوب عنه، فأطلق راود بمعنى حاول.

و ﴿عن﴾ للمجاوزة، أي راودته مباعدة له عن نفسه، أي بأن يجعل نفسه لها. والظاهر أن هذا التركيب من **مبتكرات** القرآن، فالنفس هنا كناية عن غرض المواقعة، قاله ابن عطية، أي فالنفس أريد بها عفافه وتمكينها منه لما تريد، فكأنها تراوده عن أن يسلم إليها إرادته وحكمه في نفسه.

وأما تعديته ب"على" فذلك إلى الشيء المطلوب حصوله. ووقع في قول أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم يراود عمه أبا طالب على الإسلام: وفي حديث الإسراء "فقال له موسى: "قد راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه".

والتعبير عن امرأة العزيز بطريق الموصولية في قوله: ﴿التي هو في بيتها﴾ لقصد ما تؤذن به الصلة من تقرير عصمة يوسف – عليه السلام – لأن كونه في بيتها من شأنه أن يطوعه لمرادها.

و ﴿بيتها﴾ بيت سكناها الذي تبيت فيه. فمعنى ﴿هو في بيتها﴾ أنه كان حينئذ في البيت الذي هي به، ويجوز أن يكون المراد بالبيت المنزل كله، وهو قصر العزيز. ومنه قولهم: ربة البيت، أي زوجة صاحب الدار ويكون معنى ﴿هو في بيتها﴾ أنه من جملة أتباع ذلك المنزل.". (١)

١٧–"الناس في قوله: ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [سورة إبراهيم: ١]، فإنهم بعد أن أجمل لهم الكلام في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [سورة إبراهيم: ٤] الآية، ثم فصل بأن ضرب المثل للإرسال إليهم لغرض الإخراج من الظلمات إلى النور بإرسال موسى – عليه السلام – لإخراج قومه، وقضي حق ذلك عقبه بكلام جامع لأحوال الأمم ورسلهم، فكان بمنزلة الحوصلة والتذييل مع تمثيل حالهم بحال الأمم السالفة وتشابه عقلياتهم في حججهم الباطلة ورد الرسل عليهم ما رد به القرآن على المشركين في مواضع، ثم ختم بالوعيد.

والاستفهام إنكاري لأنهم قد بلغتهم أخبارهم؛ فأما قوم نوح فقد تواتر خبرهم بين الأمم بسبب خبر الطوفان، وأما عاد وثمود فهم من العرب ومساكنهم في بلادهم وهم يمرون عليها ويخبر بعضهم بعضا بها، قال تعالى: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ وقال ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾ [سورة الصافات: ١٣٧].

﴿والذين من بعدهم﴾ يشمل أهل مدين وأصحاب الرس وقوم تبع وغيرهم من أمم انقرضوا وذهبت أخبارهم فلا يعلمهم إلا الله. وهذا كقوله تعالى: ﴿وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا﴾ [سورة الفرقان: ٣٨].

وجملة ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ معترضة بين ﴿والذين من بعدهم﴾ وبين جملة ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ الواقعة حالا من ﴿الذين من بعدهم﴾ ، وهو كناية عن الكثرة التي يستلزمها انتفاء علم الناس بهم.

ومعنى ﴿جاءتهم رسلهم﴾ جاء كل أمة رسولها.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/٤٥

وضمائر ﴿ردوا﴾ و ﴿أيديهم﴾ و ﴿أفواههم﴾ عائد جميعها إلى قوم نوح والمعطوفات عليه.
وهذا التركيب لا أعهد سبق مثله في كلام العرب فلعله من مبتكرات القرآن.
ومعنى ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ يحتمل عدة وجوه أنهاها في "الكشاف" إلى سبعة وفي بعضها بعد، وأولاها بالاستخلاص أن يكون المعنى: أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم إخفاء لشدة الضحك من كلام الرسل كراهية أن تظهر دواخل أفواههم.
وذلك تمثيل لحالة الاستهزاء بالرسل.
والرد: مستعمل في معنى تكرير جعل الأيدي في الأفواه كما أشار إليه "الراغب".". (١)

١٨-"المسجد الحرام، وهو وصف كاشف اقتضاه هنا زيادة التنبيه على معجزة هذا الإسراء وكونه خارقا للعادة لكونه قطع مسافة طويلة في بعض ليلة.
وبهذا الوصف الوارد له في القرآن صار مجموع الوصف والموصوف علما بالغلبة على مسجد بيت المقدس كما كان المسجد الحرام علما بالغلبة على مسجد مكة. وأحسب أن هذا العلم له من مبتكرات القرآن فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف ولكنهم لما سمعوا هذه الآية فهموا المراد منه أنه مسجد إيلياء. ولم يكن مسجد لدين إلهي غيرهما يومئذ.
وفي هذا الوصف بصيغة التفضيل باعتبار أصل وضعها معجزة خفية من معجزات القرآن إيماء إلى أنه سيكون بين المسجدين مسجد عظيم هو مسجد طيبة الذي هو قصي عن المسجد الحرام، فيكون مسجد بيت المقدس أقصى منه حينئذ.
فتكون الآية مشيرة إلى جميع المساجد الثلاثة المفضلة في الإسلام على جميع المساجد الإسلامية، والتي بينها قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي".
وفائدة ذكر مبدأ الإسراء ونهايته بقوله: ﴿من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [الإسراء: ١] أمران:
أحدهما: التنصيص على قطع المسافة العظيمة في جزء ليلة، لأن كلا من الظرف وهو ﴿ليلا﴾ ومن المجرورين ﴿من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [الإسراء:١] قد تعلق بفعل ﴿أسرى﴾ ، فهو تعلق يقتضي المقارنة، ليعلم أنه من قبيل المعجزات.
وثانيهما:الإيماء إلى أن الله تعالى يجعل هذا الإسراء رمزا إلى أن الإسلام جمع ما جاءت به شرائع التوحيد والحنيفية من عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الصادر من المسجد الحرام إلى ما تفرع عنه من الشرائع التي كان مقرها بيت المقدس ثم إلى خاتمتها التي ظهرت من مكة أيضا، فقد قدرت الحنيفية من المسجد الحرام وتفرعت في المسجد الأقصى. ثم عادت إلى المسجد الحرام كما عاد الإسراء إلى مكة لأن كل سرى يعقبه تأويب. وبذلك حصل رد العجز على الصدر.
ومن هنا يظهر مناسبة نزول التشريع الاجتماعي في هذه السورة في الآيات المفتتحة بقوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ ، ففيها ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله". (٢)

---
(١) التحرير والتنوير ٢٢٨/١٢
(٢) التحرير والتنوير ١٣/١٤

١٩-"ومن غرائب فتن الابتكار في معاني القرآن قول من زعم: إن هذه الواو. واو الثمانية، وهو منسوب في كتب العربية إلى بعض ضعفه النحاة ولم يعين مبتكره. وقد عد ابن هشام في "مغني اللبيب" من القائلين بذلك الحريري وبعض ضعفة النحاة كابن خالويه والثعلبي من المفسرين.

قلت: أقدم هؤلاء هو ابن خالويه النحوي المتوفى سنة ٣٧٠ فهو المقصود ببعض ضعفه النحاة. وأحسب وصفه بهذا الوصف أخذه ابن هشام من كلام ابن المنير في "الانتصاف على الكشاف" من سورة التحريم إذ روي عن ابن الحاجب: أن القاضي الفاضل كان يعتقد أن الواو في قوله تعالى ﴿ثيبات وأبكارا﴾ [التحريم: ٥] في سورة التحريم هي الواو التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية. وكان القاضي يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة، أحدها: التي في الصفة الثامنة في قوله تعالى: ﴿والناهون عن المنكر﴾ [التوبة: ١١٢] في سورة براءة. والثانية: في قوله: ﴿وثامنهم كلبهم﴾ . والثالثة: في قوله: ﴿وفتحت أبوابها﴾ [الزمر: ٧٣] في الزمر. قال ابن الحاجب ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه إلى أن ذكره يوما بحضرة أبي الجود النحوي المقري، فبين له أنه واهم في عدها من ذلك القبيل وأحال البيان على المعنى الذي ذكره الزمخشري من دعاء الضرورة إلى الإتيان بالواو هنا لامتناع اجتماع الصفتين في موصوف واحد آخره.

وقال في "المغنى" : سبق الثعلبي الفاضل إلى عدها من المواضع في تفسيره. وأقول: لعل الفاضل لم يطلع عليه. وزاد الثعلبي قوله تعالى: ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوما﴾ [الحاقة: ٧] في سورة الحاقة حيث قرن اسم عدد ثمانية بحرف الواو.

ومن غريب الاتفاق أن كان لحقيقة الثمانية اعتلاق بالمواضع الخمسة المذكورة من القرآن إما بلفظة كما هنا وآية الحاقة، وإما بالانتهاء إليه كما في آية براءة وآية التحريم، وإما بكون مسماه معدودا بعدد الثمانية كما في آية الزمر. ولقد بعد الانتباه إلى ذلك من اللطائف، ولا يبلغ أن يكون من المعرف. وإذا كانت كذلك ولم يكن لها ضابط مضبوط فليس من البعيد عد القاضي الفاضل منها آية سورة التحريم لأنها صادفت الثامنة في الذكر وإن لم تكن ثامنة من صفات الموصوفين، وكذلك لعد آية سورة الحاقة، ومثل هذه اللطائف كالزهرة تشم ولا تحك.

وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى: ﴿والناهون عن المنكر﴾ في سورة براءة [١١٢].". (١)

٢٠-"المشعر بالفضيلة والشرف، فيكون يعقوب هو إسرائيل، كأنه قال: ويرث من آل إسرائيل، أي حملة الشريعة وأحبار اليهودية كقوله تعالى: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾ [النساء: ٥٤] وإنما يذكر آل الرجل في مثل هذا السياق إذا كانوا على سنته، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ ، وقوله: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ [الإسراء: ٣] . مع أن الناس كلهم ذرية من حملوا معه.

ويجوز أن يراد يعقوب آخر غير إسرائيل. وهو يعقوب بن ماثان، قاله: معقل والكلبي. وهو عم مريم أخو عمران أبيها، وقيل: هو أخو زكريا، أي ليس له أولاد فيكون ابن زكريا وارثا ليعقوب لأنه ابن أخيه، فيعقوب على هذه هو من جملة الموالي الذين خافهم زكريا من ورائه.

(١) التحرير والتنوير ٤٥/١٥

﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ [مريم: ٧ – ٨]

مقول قول محذوف دل عليه السياق عقب الدعاء إيجازا، أي قلنا يا زكريا الخ...

والتبشير: الوعد بالعطاء. وفي الحديث: أنه قال للأنصار فأبشروا وأملوا وفي حديث وفد بني تميم: اقبلوا البشرى، فقالوا بشرتنا فأعطيتنا.

ومعنى: ﴿اسمه يحيى﴾ سمية يحيى، فالكلام خبر مستعمل في الأمر.

والسمي فسروه بالموافق في الاسم، أي لم نجعل له من يوافقه في هذا الاسم من قبل وجوده. فعليه يكون هذا الإخبار سرا من الله أودعه زكريا فلا يظن أنه قد يسمي أحد ابنه يحيي فيما بين هذه البشارة وبين ازداد الولد. وهذه منة من الله وإكرام لزكريا إذا جعل اسم ابنه **مبتكرا**. وللأسماء **المبتكرة** مزية قوة تعريف المسمى لقلة الاشتراك، إذ لا يكون مثله كثيرا مدة وجوده. وله مزية اقتداء الناس به من بعد حين يسمون أبناءهم ذلك الاسم تيمنا واستجادة.

وعندي: أن السمي هنا هو الموافق في الاسم الوصفي بإطلاق الاسم على الوصف فإن الاسم أصله في الاشتقاق "وسم"، والسمة: أصلها وسمة، كما في قوله تعالى: ﴿ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ [النجم: ٢٧]، أي يصفونهم أنهم إناث، ومنه قوله". (١)

٢١-"الآتي: ﴿هل تعلم له سميا﴾ [مريم: من الآية٦٥] أي لا مثيل لله تعالى في أسمائه. وهذا أظهر في الثناء على يحيى والامتنان على أبيه. والمعنى: أنه لم يجيء قبل يحيى من الأنبياء من اجتمع له ما اجتمع ليحيي فإنه أعطى النبوءة وهو صبي، قال تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ [مريم: من الآية١٢]. وجعل حصورا ليكون غير مشقوق عليه في عصمته عن الحرام، ولئلا تكون له مشقة في الجمع بين حقوق العبادة وحقوق الزوجة، وولد لأبيه بعد الشيخوخة ولأمه بعد العقر. وبعث مبشرا برسالة عيسى عليه السلام، ولم يكن هو رسولا، وجعل اسمه العلم **مبتكرا** غير سابق من قبله. وهذه مزايا وفضائل وهبت له ولأبيه، وهي لا تقتضي أنه أفضل الأنبياء لأن الأفضلية تكون بمجموع فضائل لا ببعضها وإن جلت، ولذلك قيل المزية لا تقتضي الأفضلية وهي كلمة صدق.

وجملة ﴿قال رب﴾ جواب للبشارة.

و ﴿أنى﴾ استفهام مستعمل في التعجب. والتعجب مكنى به عن الشكر، فهو اعتراف بأنها عطية عزيزة غير مألوفة لأنه لا يجوز أن يسأل الله أن يهب له ولدا ثم يتعجب من استجابة الله له. ويجوز أن يكون قد ظن الله يهب له ولدا من امرأة أخرى بأن يأذنه بتزوج امرأة غير عاقر، وتقدم القول في نظير هذه الآية في سورة آل عمران.

وجملة ﴿وكانت امرأتي عاقرا﴾ حال من ياء التكلم وكرر ذلك مع قوله في دعائه ﴿وكانت امرأتي عاقرا﴾ . وهو يقتضي أن زكريا كان يظن أن عدم الولادة بسبب عقر امرأته، وكان الناس يحسبون ذلك إذا لم يكن بالرجل عنة ولا خصاء ولا اعتراض،

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/١٦

لأنهم يحسبون الإنعاض والإنزال هما سبب الحمل إن لم تكن بالمرأة عاهة العقر. وهذا خطأ فإن عدم الولادة يكون إما لعلة بالمرأة في رحمها أو لعلة في ماء الرجل يكون غير صالح لنماء البويضات التي تبرزها رحم المرأة.

و ﴿من﴾ في قوله: ﴿من الكبر عتيا﴾ للابتداء، وهو مجاز في معنى التعليل.

والكبر: كثرة سني العمر. لأنه يقارنه ظهور قلة النشاط واختلال نظام الجسم.

و ﴿عتيا﴾ مفعول ﴿بلغت﴾

والبلوغ: مجاز في حلول الإنسان. وجعل نفسه هنا بالغا الكبر وفي آية آل عمران قال ﴿وقد بلغني الكبر﴾ [آل عمران: من الآية٤٠] لأن البلوغ لما كان مجازا في حصول الوصف صح أن يسند إلى الوصف وإلى الموصوف.". (١)

٢٢-"أبويها فكانت امرأة سوء وكانت بغيا؛ وما كان أبوها امرأ سوء ولا كانت أمها بغيا فكانت مبتكرة الفواحش في أهلها. وهم أرادوا ذمها فأتوا بكلام صريحه ثناء على أبويها مقتض أن شأنها أن تكون مثل أبويها.

[٢٩] ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾

أي أشارت إليه إشارة دلت على أنها تحيلهم عليه ليسألوه عن قصته، أو أشارت إلى أن يسمعوا منه الجواب عن توبيخهم إياها وقد فهموا ذلك من إشارتها.

ولما كانت إشارتها بمنزلة مراجعة كلام حكي حوارهم الواقع عقب الإشارة بجملة القول مفصولة غير معطوفة.

والاستفهام: إنكار؛ أنكروا أن يكلموا من ليس من شأنه أن يتكلم، وأنكروا أن تحيلهم على مكالمته، أي كيف نترقب منه الجواب، أو كيف نلقي عليه السؤال، لأن الحالتين تقتضيان التكلم.

وزيادة فعل الكون في ﴿من كان في المهد﴾ للدلالة على تمكن المظروفية في المهد من هذا الذي أحيلوا علة مكالمته، وذلك مبالغة منهم في الإنكار، وتعجب من استخفافها بهم. ففعل ﴿كان﴾ زائد للتوكيد، ولذلك جاء بصيغة المضي لأن "كان" الزائدة تكون بصيغة الماضي غالبا.

وقوله: ﴿في المهد﴾ خبر ﴿من﴾ الموصولة.

و ﴿صبيا﴾ حال من اسم الموصول.

والمهد: فراش الصبي وما يمهد لوضعه.

[٣٠ - ٣٣] ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا *والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾

كلام عيسى هذا مما أهملته أناجيل النصارى لأنهم طووا خبر وصولها إلى أهلها عد وضعها، وهو طي يتعجب منه. ويدل على أنها كتبت في أحوال غير مضبوطة، فأطلع الله تعالى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم.". (٢)

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/١٦

(٢) التحرير والتنوير ٣٣/١٦

٢٣-"يسفر عن رأي يصدر الجميع عنه.

وإسناد القول إلى ضمير جمعهم على معنى: قال بعضهم: هذان لساحران، فقال جميعهم: نعم هذان لساحران، فأسند هذا القول إلى جميعهم، أي مقالة تداولوا الخوض في شأنها فأرسوا عليها وقال بعضهم لبعض: نعم هو كذلك، ونطقوا بالكلام الذي استقر عليه رأيهم، وهو تحققهم أن موسى وأخاه ساحران.

واعلم أن جميع القراء المعتبرين قرأوا بإثبات الألف في اسم الإشارة من قوله: "هاذان" ما عدا أبا عمرو من العشرة وما عدا الحسن البصري من الأربعة عشر. وذلك يوجب اليقين بأن إثبات الألف في لفظ هذان أكثر تواترا بقطع النظر عن كيفية النطق بكلمة "إن" مشددة أو مخففة، وأن أكثر مشهور القراءات المتواترة قرأوا بتشديد نون "إن" ما عدا ابن كثير وحفصا عن عاصم فهما قرءا "إن" بسكون النون على أنها مخففة من الثقيلة.

وإن المصحف الإمام ما رسموه إلا اتباعا لأشهر القراءات المسموعة المروية من زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وقراء أصحابه، فإن حفظ القرآن في صدور القراء أقدم من كتابته في المصاحف، وما كتب في أصول المصاحف إلا من حفظ الكاتبين، وما كتب المصحف الإمام إلا من مجموع محفوظ الحفاظ وما كتبه كتاب الوحي في مدة نزول الوحي.

فأما قراءة الجمهور ﴿إن هذان لساحران﴾ بتشديد نون "إن" وبالألف في ﴿هذان﴾ وكذلك في ﴿لساحران﴾ فللمفسرين في توجيهها آراء بلغت الستة. وأظهرها أن تكون ﴿إن﴾ حرف جواب مثل: نعم وأجل، وهو استعمال من استعمالات "إن" أي اتبعوا لما استقر عليه أمرهم بعد النجوى كقول عبد الله بن قيس الرقيات:

ويقلن شيب قد علاك ... وقد كبرت فقلت إنه

أي أجل أو نعم، والهاء في البيت هاء السكت، وقول عبد الله بن الزبير لأعرابي استجداه فلم يعطه، فقال الأعرابي: لعن الله ناقة حملتني إليك. قال ابن الزبير: أن وراكبها. وهذا التوجيه من مبتكرات أبي إسحاق الزجاج ذكره في تفسيره . وقال: عرضته على عالمينا وشيخينا وأستاذينا محمد بن يزيد يعني المبرد، وإسماعيل بن إسحاق بن حماد يعني القاضي الشهير فقبلاه وذكرا أنه أجود ما سمعاه في هذا.

وقلت: لقد صدقا وحققا. وما أورده ابن جني عليه من الرد فيه نظر.". (١)

٢٤-"المقامات ما لا يستحيل بالانعكاس وبني عليه المقامة السادسة عشرة ووضح أمثله نثرا ونظما، وفي معظم ما وضعه من الأمثلة تكلف وتنافر وغرابة، وكذلك ما وضعه غيره على تفاوتها في ذلك والشواهد مذكورة في كتب البديع فعليك بتتبعها، وكلما زادت طولا زادت ثقلا.

قال العلامة الشيرازي في شرح المفتاح : " وهو نوع صعب المسلك قليل الاستعمال". قلت: "ولم يذكروا منه شيئا وقع في كلام العرب فهو من مبتكرات القرآن".

ذكر أهل الأدب أن القاضي الفاضل البيساني زار العماد الكاتب فلما ركب لينصرف من عنده قال له العماد: سر فلا كبا

---

(١) التحرير والتنوير ١٤٣/١٦

بك الفرس فقطن القاضي أن فيه محسن القلب فأجابه على البديهة: دام علا العماد وفيه محسن القلب.

[٣٤] ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾

عنيت الآيات من أول السورة باستقصاء مطاعن المشركين في القرآن ومن جاء به بقولهم: ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ ، وقولهم: ﴿أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر﴾ وكان من جملة أمانيهم لما أعياهم اختلاق المطاعن أن كانوا يتمنون موت محمد صلى الله عليه وسلم أو يرجونه أو يدبرونه قال تعالى: ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ في سورة الطور وقال تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك﴾ في الأنفال.

وقد دل على أن هؤلاء هم المقصود من الآية قوله تعالى: ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ فلما كان تمنيهم موته وتربصهم به ريب المنون يقتضي أن الذين تمنوا ذلك وتربصوا به كأنهم واثقون بأنهم يموتون بعده فتتم شماتتهم، أو كأنهم لا يموتون أبدا فلا يشمت بهم أحد، وجه إليهم استفهام الإنكار على طريقة التعريض بتنزيلهم منزلة من يزعم أنهم خالدون.

وفي الآية إيماء إلى أن الذين لم يقدر الله لهم الإسلام ممن قالوا ذلك القول سيموتون قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم فلا يشمتون به فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى أهلك الله رؤوس الذين عاندوه وهدى بقيتهم إلى الإسلام.

ففي قوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ طريقة القول بالموجب، أي أنك تموت كما قالوا ولكنهم لا يرون ذلك وهم بحال من يزعمون أنهم مخلدون فأيقنوا". (١)

٢٥-"ولقصد إدماج التهديد بما سيشاهدون من عذاب أعد لهم فيندمون على تفريطهم في مدة حياتهم.

وضمير الجمع في ﴿ارجعون﴾ تعظيم للمخاطب. والخطاب بصيغة الجمع لقصد التعظيم طريقة عربية، وهو يلزم صيغة التذكير فيقال في خطاب المرأة إذا قصد تعظيمها: أنتم. ولا يقال: أنتن. قال العرجي:

فإن شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

فقال: سواكم. وقال جعفر بن علبة الحارثي من شعراء الحماسة:

فلا تحسبي أني تخشعت بعدكم ... لشيء ولا أني من الموت أفرق

فقال: بعدكم، وقد حصل لي هذا باستقراء كلامهم ولم أر من وقف عليه.

وجملة الترجي في موضع العلة لمضمون ﴿ارجعون﴾ .

والترك هنا مستعمل في حقيقته وهو معنى التخلية والمفارقة. وما صدق ماتركت عالم الدنيا. ويجوز أن يراد بالترك معناه المجازي وهو الإعراض والرفض، على أن يكون ما صدق الموصول الإيمان بالله وتصديق رسوله، فذلك هو الذي رفضه كل من يموت على الكفر، فالمعنى: لعلي أسلم وأعمل صالحا في حالة إسلامي الذي كنت رفضته، فاشتمل هذا المعنى على وعد بالامتثال واعتراف بالخطأ فيما سلف. وركب بهذا النظم الموجز قضاء لحق البلاغة.

وكلا ردع للسامع ليعلم إبطال طلبة الكافر.

---

(١) التحرير والتنوير ٤٦/١٧

وقوله: ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ تركيب يجري مجرى المثل وهو من **مبتكرات** القرآن. وحاصل معناه: أن قول المشرك ﴿رب ارجعون﴾ الخ لا يتجاوز أن يكون كاملا صدر من لسانه لا جدوى له فيه، أي لا يستجاب طلبه به.

فجملة ﴿هو قائلها﴾ وصف لكلمة، أي هي كلمة هذا وصفها. وإذ كان من المحقق أنه قائلها لم يكن في وصف كلمة به فائدة جديدة فتعين أن يكون الخبر مستعملا في معنى أنه لا وصف لكلمته غير كونها صدرت من في صاحبها.

وبذلك يعلم أن التأكيد بحرف إن لتحقيق المعنى الذي استعمل له الوصف.

والكلمة هنا مستعمل في الكلام كقول النبي صلى الله عليه وسلم: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة". (١)

٢٦-"فلا يستطيعون سبيلا﴾

الظالمون: هم المشركون، فغير عنوانهم الأول إلى عنوان الظلم وهم هم تنبيها على أن في هذا القول اعتداء على الرسول بنبزه بما هو بريء منه وهم يعلمون أنه ليس كذلك فظلمهم له أشد ظلم وصلى الله عليه وسلم.

ذكر الماوردي: أن قائل ﴿إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ هو عبد الله ابن الزبعرى، أي هو **مبتكر** هذا البهتان وإنما أسند القول إلى جميع الظالمين لأنهم تلقفوه ولهجوا به.

والمسحور: الذي أصابه السحر، وهو يورث اختلال العقل عندهم، أي ما تتبعون إلا رجلا أصابه خلل العقل فهو يقول ما لا يقول مثله العقلاء.

وذكر ﴿رجلا﴾ هنا لتمهيد استحالة كونه رسولا لأنه رجل من الناس. وهذا الخطاب خاطبوا به المسلمين الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم.

ومعنى ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا﴾ : أنهم ضربوا لك الأمثال الباطلة بأن مثلوك برجل مسحور.

وقوله ﴿انظر﴾ مستعار لمعنى العلم تشبيها للأمر المعقول بالأمر المرئي لشدة وضوحه.

و ﴿كيف﴾ اسم للكيفية والحالة مجرد هنا عن معنى الاستفهام.

وفرع على هذا التعجيب إخبار عنهم بأنهم ضلوا في تلفيق المطاعن في رسالة الرسول فسلكوا طرائق لا تصل بهم إلى دليل مقنع على مرادهم، ففعل ﴿ضلوا﴾ مستعمل في معنييه المجازيين هما: معنى عدم التوفق في الحجة، ومعنى عدو الوصول للدين الحق، وهو هنا تعجيب من خطلهم وإعراض عن مجاوبتهم.

[١٠] ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا﴾

ابتدئت السورة بتعظيم الله وثنائه على أن أنزل الفرقان على رسوله، وأعقب ذلك بما تلقى به المشركون هذه المزية من الجحود والإنكار الناشئ عن تمسكهم بما اتخذوه من آلهة من صفاتهم ما ينافي الإلهية، ثم طعنوا في القرآن والذي جاء به بما هو كفران للنعمة ومن جاء بها.". (٢)

---

(١) التحرير والتنوير ١٨/١٠٠

(٢) التحرير والتنوير ١٩/١٩

٢٧-"عليم بتصاريف رحمته مجرب لها متلق أحاديثها ممن علمها وجربها.

وتنكير ﴿خبيرا﴾ للدلالة على العموم، فلا يظن خبيرا معينا، لأن النكرة إذا تعلق بها فعل اقتضت عموما بدليل أي خبير سألته أعلمك.

وهذا يجري مجرى المثل، ولعله من **مبتكرات** القرآن نظير قول العرب "على الخبير سقطت" يقولها العارف بالشيء إذا سئل عنه. والمثلان وإن تساويا في عدد الحروف المنطوق بها فالمثل القرآني أفصح لسلامته من ثقل تلاقي القاف والطاء والتاء في "سقطت". وهو أيضا أشرف لسلامته من معنى السقوط، وهو أبلغ معنى لما فيه من عموم كل خبير، بخلاف قولهم: على الخبير سقطت، لأنها إنما يقولها الواحد المعين. وقريب من معنى ﴿فاسأل به خبيرا﴾ قول النابغة:

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي

...

إذا الدخان تغشى الأشمط البرما

إلى قوله:

يخبرك ذو عرضهم عني وعالمهم

...

وليس جاهل شيء مثل من علما

والباء في ﴿به﴾ بمعنى "عن" أي فأسأل عنه كقول علقمة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني

...

خبير بأدواء النساء طبيب

ويجوز أن تكون الباء متعلقة بـ ﴿خبيرا﴾ وتقديم المجرور للرعي على الفاصلة وللاهتمام، فله سببان.

[٦٠] ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾ .

لما جرى وصف الله تعالى بالرحمن مع صفات أخر استطرد ذكر كفر المشركين بهذا الوصف. وقد علمت عند الكلام على البسملة في أول هذا التفسير أن وصف الله تعالى باسم "الرحمان" هو من وضع القرآن ولم يكن معهودا للعرب، وأما قول شاعر اليمامة في مدح مسيلمة:

سموت بالمجد يابن الأكرمين أبا

...

وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

فذلك بعد ظهور الإسلام في مدة الردة، ولذلك لما سمعوه من القرآن أنكروه قصدا بالتورك على النبي صلى الله عليه وسلم

وليس ذلك عن جهل بمدلول هذا الوصف ولا بكونه جاريا على". [1]

٢٨-"معهما من قومهما. وقد جاء هذا على طريقة النشر على ترتيب اللف.
والأخذ: الإتلاف والإهلاك؛ شبه الإعدام بالأخذ بجامع إزالة الشيء من مكانه فاستعير له فعل ﴿أخذنا﴾ . وقد نفي عن الله تعالى ظلم هؤلاء لأن إيلامهم كان جزاء على أعمالهم وكل ما كان من نوع الجزاء يوصف بالعدل وقد نفى الله عن نفسه الوصف بالظلم فوجب الإيمان به سمعا لا عقلا في مقام الجزاء، وأما في مقام التكوين فلا. وظلمهم أنفسهم هو تسببهم في عذاب أنفسهم فجروا إليها العقاب لأن النفس أولى الأشياء برأفة صاحبها بها وتفكيره في أسباب خيرها.
والاستدراك ناشئ عن نفي الظلم عن الله في عقابهم لأنه يتوهم منه انتفاء موجب العقاب فالاستدراك لرفع هذا التوهم.
[٤١] ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾
لما بينت لهم الأشباه والأمثال من الأمم التي اتخذت الأصنام من دون الله فما أغنت عنهم أصنامهم لما جاءهم عذاب الله أعقب ذلك بضرب المثل لحال جميع أولئك وحال من ماثلهم من مشركي قريش في اتخاذهم ما يحسبونه دافعا عنهم وهو أضعف من أن يدفع عن نفسه، بحال العنكبوت تتخذ لنفسها بيتا تحسب أنها تعتصم به من المعتدي عليها فإذا هو لا يصمد ولا يثبت لأضعف تحريك فيسقط ويتمزق. والمقصود بهذا الكلام مشركو قريش، وتعلم مساواة غيرهم لهم في ذلك بدلالة لحن الخطاب، والقرينة قوله بعده ﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ [العنكبوت: ٤٢] فضمير ﴿اتخذوا﴾ عائد إلى معلوم من سياق الكلام وهو مشركو قريش.
وجملة ﴿اتخذت بيتا﴾ حال من ﴿العنكبوت﴾ وهي قيد في التشبيه. وهذه الهيئة المشبه بها مع الهيئة المشبهة قابلة لتفريق التشبيه على أجزائها فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدوه، وأولياؤهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغناء عمن اتخذوها وقت الحاجة إليها وتزول بأقل تحريك، وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف وهو السكنى فيها وتوهم أن تدفع عنهم كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم. وهو تمثيل بديع من مبتكرات القرآن كما سيأتي قريبا عند قوله ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾". [2]

٢٩-"وعن ابن عباس نزل قوله: ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول﴾ الآية في عثمان،وعبد الرحمن بن عوف،وطلحة،والزبير،وسعيد بن زيد،وسعد بن أبي وقاص،جاؤوا إلى أبي بكر الصديق حين أسلم فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا.
[١٩] ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾
لما أفاد الحصر الحصر في قوله: ﴿لهم البشرى﴾ [الزمر:١٧]والحصران اللذان في قوله: ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم

---

(١) التحرير والتنوير ٨٢/١٩
(٢) التحرير والتنوير ١٧٢/٢٠

أولو الألباب﴾ [الزمر:١٨]أن من سواهم وهم المشركون لا بشرى لهم ولم يهدهم الله ولا ألباب لهم لعدم انتفاعهم بعقولهم،وكان حاصل ذلك أن المشركين محرومون من حسن العاقبة بالنعيم الخالد لحرمانهم من الطاعة التي هي سببه فرع على ذلك استفهام إنكاري مفيد التنبيه على انتفاء الطماعية في هداية الفريق الذي حقت عليه كلمة العذاب،وهم الذين قصد إقصائهم عن البشرى،والهداية والانتفاع بعقولهم،بالقصر المصوغة عليه صيغ القصر الثلاث المتقدمة كما أشرنا إليه.

وقد جاء نظم الكلام على طريقة مبتكرة في الخبر المهتم به بأن يؤكد مضمونه الثابت للخبر عنه، بإثبات نقيض أو ضد ذلك المضمون لضد المخبر عنه ليتقرر مضمون الخبر مرتين مرة بأصله ومرة بنقيضه أو ضده،لضد المخبر عنه كقوله تعالى: ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب﴾ [ص:٥٥]عقب قوله: ﴿هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب﴾ [ص:٤٩].ويكثر أن يقع ذلك بعد الإتيان باسم الإشارة للخبر المتقدم كما في الآية المذكورة أو للمخبر عنه كما في هذه السورة في قوله آنفا: ﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ [الزمر:١٨]فإنه بعد أن أشير إلى الموصوفين مرتين فرع عليه بعده إثبات ضد حكمهم لمن هم متصفون بضد حالهم.

وبهذا يظهر حسن موقع الفاء لتفريع هذه الجملة على جملة ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ [الزمر:١٨]لأن التفريع يقتضي اتصالا وارتباطا بين المفرع والمفرع عليه وذلك كالتفريع في قول لبيد:

أفتلك أم وحشية مسبوعة ... خذلت وهادية الصوار قوامها

إذ فرع تشبيها على تشبيه لاختلاف المشبه بهما.

وكلمة ﴿العذاب﴾ كلام وعيد الله إياهم بالعذاب في الآخرة.ومعنى ﴿حق﴾ تحققت في الواقع،أي كانت كلمة العذاب المتوعد بها حقا غير كذب،فمعنى ﴿حق﴾ هنا تحقق،وحق كلمة العذاب عليهم ضد هدي الله الآخرين،وكونهم في النار ضد كون". (١)

٣٠-"من يحاول إنقاذ ساقط في النار قد أحاطت النار بجوانبه استحقاقا قضى به من لا يرد مراده،فحالهم تشبه حال وقوعهم في النار من الآن لتحقق وقوعه،وحذف المركب الدال على الحالة المشبه بها،ورمز إلى معناه بذكر شيء من ملائمات ذلك المركب المحذوف وهو فعل ﴿تنقذ من في النار﴾ الذي هو من ملائمات وقوعهم في النار على طريقة التمثيل بالمكنية،أي إجراء الاستعارة المكنية في المركب، ويكون قوله: ﴿تنقذ من في النار﴾ قرينة هذه المكنية وهو في ذاته استعارة تحقيقية كما في قوله تعالى: ﴿ينقضون عهد الله﴾ [البقرة:٢٧].

وهذا مما أشار إليه "الكشاف" وبينه التفتزاني فيعد من مبتكرات دقائق أنظارهما،وبه يتم تقسيم الاستعارة التمثيلية إلى قسمين مصرحة ومكنية.وذلك كان مغفولا عنه في علم البيان وبهذا تعلم أن الإنقاذ أطلق على الإلحاح في الإنذار من إطلاق اسم المسبب على السبب،وأن من في النار من هو صائر إلى النار،فلا متمسك للمعتزلة في الاستدلال بالآية على نفي الشفاعة المحمدية لأهل الكبائر، على أننا لو سلمنا أن الآية مسوقة في غرض الشفاعة فإنما نفت الشفاعة لأهل الشرك لأن

(١) التحرير والتنوير ٥٣/٢٤

من في النار يحتمل العهد وهم المتحدث عنهم في هذه الآية.ولا خلاف في أن المشركين لا شفاعة فيهم قال تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [المدثر:٤٨]،على أن المنفي هو أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم منقذا لمن أراد الله عدم إنقاذه، فأما الشفاعة فهو سؤال الله أن ينقذه.

وقد اشتملت هذه الآية على نكت بديعة من الإعجاز إذا أفادت أن هذا الفريق من أهل الشرك الذين يكمن الكفر في قلوبهم حقت عليهم كلمة الله بتعذيبهم فهم لا يؤمنون،وأن حالهم الآن كحال من وقع في النار فهو هالك لا محالة،وحال النبي صلى الله عليه وسلم في حرصه على هديهم كحال من رأى ساقطا في النار فاندفع بدافع الشفقة إلى محاولة إنقاذه ولكنه لا يستطيع ذلك فلذلك أنكرت شدة حرصه على تخليصهم فكان إيداع هذا المعنى في جملتين نهاية في الإيجاز مع قرنه بما دل عليه تأكيد الهمزة والفاء في الجملة الثانية من الإطناب في مقام الصراحة.ثم بما أودع في هاتين الجملتين من الاستعارة التمثيلية العجيبة بطريق المكنية ومن الاستعارة المصرحة في قرينة المكنية.

وحاصل نظم هذا التركيب:أفمن حق عليه كلمة العذاب فهو في النار أفأنت تنقذه وتنقذ من في النار.

وقد أشار إلى هذه الحالة الممثلة في هذه الآية حديث أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :"إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش". (١)

٣١-"إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾ [طه:١٢٠].

والتاء في ﴿أشركت﴾ تاء الخطاب لكل من أوحي إليه بمضمون هذه الجملة من الأنبياء فتكون الجملة بيانا لما أوحي إليه وإلى الذين من قبله.ويجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فتكون الجملة بيانا لجملة ﴿أوحي إليك﴾ ،ويكون ﴿وإلى الذين من قبلك﴾ اعتراضا لأن البيان تابع للمبين عمومه ونحوه.وأيا ما كان فالمقصود بالخطاب تعريض بقوم الذي أوحي إليه لأن فرض إشراك النبي صلى الله عليه وسلم غير متوقع.واللام في ﴿لئن أشركت﴾ موطئة للقسم المحذوف دالة عليه،واللام في ﴿ليحبطن﴾ لام جواب القسم.

والحبط:البطلان والدحض،حبط عمله:ذهب باطلا.والمراد بالعمل هنا:العمل الصالح الذي يرجى منه الجزاء الحسن الأبدي. ومعنى حبطة:أن يكون لغوا غير مجازى عليه.وتقدم حكم الإشراك بعد الإيمان،وحكم رجوع ثواب العمل لصاحبه إن عاد إلى الإيمان بعد أن أبطل إيمانه عند قوله تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم﴾ في سورة البقرة[٢١٧].

ثم عطف عليه أن صاحب الإشراك من الخاسرين،سبه حاله حينئذ بحال التاجر لذي أخرج مالا ليربح فيه زيادة مال فعاد وقد ذهب ماله الذي كان بيده أو أكثره،فالكلام تمثيل لحال من أشرك بعد التوحيد فإن الإشراك قد طلب به **مبتكروه** زيادة القرب من الله إذ قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر:٣] ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس:١٨]فكان حالهم كحال التاجر الذي طلب الزيادة على ما عنده من المال ولكنه طلب الربح من غير بابه،فباء

---

(١) التحرير والتنوير ٥٦/٢٤

بخسرانه وتبابه.وفي تقدير فرض وقوع الإشراك من الرسول والذين من قبله مع تحفف عصمتهم التنبيه على عظم أمر التوحيد وخطر الإشراك ليعلم الناس أن أعلى الدرجات في الفضل لو فرض أن يأتي عليها الإشراك لما أبقى منها أثرا ولدحضها دحضا.

و ﴿بل﴾ لإبطال مضمون جملة ﴿لئن أشركت﴾ أي بل لا تشرك،أو لإبطال مضمون جملة ﴿أفغير الله تأمروني أعبد﴾ .

والفاء في قوله: ﴿فاعبد﴾ يظهر أنها تفريع على التحذير من حبط العمل ومن الخسران فحصل باجتماع ﴿بل﴾ والفاء، في صدر الجملة،أن جمعت غرضين:غرض". (١)

٣٢-"وهذا كقوله تعالى ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [النساء: ١٦٣]، أي ما جاء به من الوحي إن هو إلا مثل ما جاءت به الرسل السابقون، فما إعراض قومه عنه إلا كإعراض الأمم السالفة عما جاءت به رسلهم. فحصل هذا المعنى الثاني بغاية الإيجاز مع حسن موقع الاستطراد.

وإجراء وصفي ﴿العزيز الحكيم﴾ على اسم الجلالة دون غيرهما لأن لهاتين الصفتين مزيد من اختصاص بالغرض المقصود من أن الله يصطفي من يشاء لرسالته.

ف ﴿العزيز﴾ المتصرف بما يريد لا يصده أحد. و ﴿الحكيم﴾ يحمل كلامه معاني لا يبلغ إلى مثلها غيره، وهذا من متممات الغرض الذي افتتحت به السورة وهو الإشارة إلى تحدي المعاندين بأن يأتوا بسورة مثل سور القرآن.

وجملة ﴿كذلك يوحي إليك﴾ إلى آخرها ابتدائية، وتقديم المجرور من قوله ﴿كذلك﴾ على ﴿يوحي إليك﴾ للاهتمام بالمشار إليه والتشويق بتنبيه الأذهان إليه، وإذ لم يتقدم في الكلام ما يحتمل أن يكون مشارا إليه ب ﴿كذلك﴾ علم أن المشار إليه مقدر معلوم من الفعل الذي بعد اسم الإشارة وهو المصدر المأخوذ من الفعل، أي كذلك الإيحاء يوحي إليك الله. وهذا استعمال متبع في نظائر هذا التركيب كما تقدم في قوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ في سورة البقرة. [١٤٣] وأحسب أنه من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثله في كلام العرب قبل القرآن.

وما ذكره الخفاجي في سورة البقرة من تنظيره بقول زهير:

كذلك خيمهم ولكل قوم ... إذا مستهم الضراء خيم

لا يصح لأن بيت زهير مسبوق بما يصلح أن يكون مشارا إليه، وقد فاتني التنبيه على ذلك فيما تقدم من الآيات فعليك بضم ما هنا إلى ما هنالك.

والجار والمجرور صفة لمفعول مطلق محذوف دل عليه ﴿يوحي﴾ أي إيحاء كذلك الإيحاء العجيب.

والعدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع في قوله ﴿يوحي﴾ للدلالة على أن إيحاءه إليه متجدد لا ينقطع في مدة حياته الشريفة لييأس المشركون من إقلاعه بخلاف قوله ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ [الشورى: ٥٢] وقوله ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا﴾ [الشورى: ٧] إذ لا غرض في إفادة معنى التجدد هناك. وأما مراعاة التجدد هنا فلأن المقصود

(١) التحرير والتنوير ١٢٧/٢٤

هو ما أوحي به إلى محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وأن قوله ﴿إلى الذين من قبلك﴾ إدماج.". (١)

٣٣-"القتل. وقد ثبت في الصحيح ثبوتا مستفيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل من أسرى بدر النضر بن الحارث وذلك قبل نزول هذه الآية، وعقبة بن أبي معيط وقتل أسرى قريظة الذين نزلوا على حكم سعد بن معاذ، وقتل هلال بن خطل ومقيس بن حبابة يوم فتح مكة، وقتل بعد أحد أبا عزة الجمعي الشاعر وذلك كله لا يعارض هذه الآية لأنها جعلت التخيير لولي الأمر. وأيضا لم يذكر في هذه الآية جواز الاسترقاق، وهو الأصل في الأسرى، وهو يدخل في المن إذا اعتبر المن شاملا لترك القتل، ولأن مقابلة المن بالفداء تقتضي أن الاسترقاق مشروع. وقد روى ابن القاسم وابن وهب عن مالك: أن المن من العتق.

وقال الحسن وعطاء: التخيير بين المن والفداء فقط دون قتل الأسير، فقتل الأسير يكون محظورا. وظاهر هذه الآية يعضد ما ذهب اليه الحسن وعطاء.

وذهب فريق من أهل العلم إلى أن هذه الآية منسوخة وأنه لا يجوز في الأسير المشرك إلا القتل بقوله تعالى ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [التوبة: من الآية٥] وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك والسدي وابن جريج، ورواه العوفي عن ابن عباس وهو المشهور عن أبي حنيفة، وقال أبو يوسف ومحمد من أصحاب أبي حنيفة: لا بأس أن يفادى أسرى المشركين الذين لم يسلموا بأسرى المسلمين الذين بيد المشركين. وروى الجصاص أن النبي صلى الله عليه وسلم فدى أسيرين من المسلمين بأسير من المشركين في ثقيف.

والغاية المستفادة من ﴿حتى﴾ في قوله ﴿تضع الحرب أوزارها﴾ للتعليل لا للتقييد، أي لأجل أن تضع الحرب أوزارها، أي ليكف المشركون عنها فتأمنوا من الحرب عليكم وليست غاية لحكم القتال.

والمعنى يستمر هذا الحكم بهذا ليهن العدو فيتركوا حربكم، فلا مفهوم لهذه الغاية، فالتعليل متصل بقوله ﴿ فضرب الرقاب﴾ وما بينهما اعتراض. والتقدير: فضرب الرقاب، أي لا تتركوا القتل لأجل أن تضع الحرب أوزارها، فيكون واردا مورد التعليم والموعظة، أي فلا تشتغلوا عند اللقاء لا بقتل الذين كفروا لتضع الحرب أوزارها فإذا غلبتموهم فاشتغلوا بالإبقاء على من تغلبونه بالأسر ليكون المن بعد ذلك أو الفداء.

والأوزار: الأثقال، ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمال أو المسافر أثقاله، وهذا من مبتكرات القرآن. وأخذ منه عبد ربه السلمى، أو سليم الحنفي قوله:". (٢)

٣٤-"و ﴿ثمود﴾ : أمة من العرب البائدة العاربة، وهم أنساب عاد. وثمود: اسم جد تلك الأمة ولكن غلب إلى الأمة فلذلك منع من الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار الأمة أو القبيلة.

وتقدم ذكر ثمود عند قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا﴾ في سورة [الأعراف: ٧٣].

---

(١) التحرير والتنوير ٩٩/٢٥

(٢) التحرير والتنوير ٦٩/٢٦

[٦-٧] ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ .

الصرصر: الشديدة يكون لها صوت كالصرير وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات﴾ في سورة [فصلت: ١٦]. والعاتية: الشديدة العصف، وأصل العتو والعتي: شدة التكبر فاستعير للشيء المتجاوز الحد المعتاد تشبيها بالتكبر الشديد في عدم الطاعة والجري على المعتاد.

والتسخير: الغصب على عمل واستعير لتكوين الريح الصرصر تكوينا متجاوزا المتعارف في قوة جنسها فكأنها مكرهة عليه. وعلق به ﴿عليهم﴾ لأنه ضمن معنى أرسلها.

و"حسوم" يجوز أن يكون جمع حاسم مثل قعود جمع قاعد، وشهود جمع شاهد، غلب فيه الأيام على الليالي لأنها أكثر عددا إذ هي ثمانية أيام وهذا له معان:

أحدهما أن يكون المعنى: يتابع بعضها بعضا، أي لا فصل بينها كما يقال: صيام شهرين متتابعين، وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي ١:

ففرق بين بينهم زمان ... تتابع فيه أعوام حسوم

قيل: والحسوم مشتق من حسم الداء بالمكواة إذ يكوى ويتابع الكي أياما، فيكون إطلاقه استعارة، ولعلها من **مبتكرات** القرآن، وبيت عبد العزيز الكلابي من الشعر الإسلامي فهو متابع لاستعمال القرآن.

-

١ شاعر من شعراءصدر الدولة الأموية، كان لأبيه وله حظوة عند الخليفة معاوية وكان سيد أهل البادية توفي في غزوة القسطنطينية سنة ٤٦هـ.". (١)

٣٥-"هي كثيرة فلكثرتها جيء لها بجمع الجمع الدال على الكثرة، أي ولو نسب إلينا قليلا من أقوال كثيرة صادقة يعني لو نسب إلينا شيئا قليلا من القرآن لم ننزله لأخذنا منه باليمين، إلى آخره.

ومعنى ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ لأخذناه بقوة، أي دون إمهال فالباء للسببية.

واليمين: اليد اليمنى كني بها عن الاهتمام بالتمكن من المأخوذ، لأن اليمين أقوى عملا من الشمال لكثرة استخدامها فنسبة التصرف إليها شهيرة.

وتقدم ذلك في مواضع منها قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ في سورة البقرة [٢٢٤] وقوله ﴿وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ في سورة الأعراف [١٧] وقوله: ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ في سورة العنكبوت [٤٨].

وقال أبو الغول الطغوي:

فدت نفسي وما ملكت يميني ... فوارس صدقوا فيهم ظنوني

---

(١) التحرير والتنوير ١٠٨/٢٩

والمعنى: لأخذناه أخذا عاجلا فقطعنا وتينه، وفي هذا تهويل لصورة الأخذ فلذلك لم يقتصر على نحو: لأهلكناه.
و ﴿منه﴾ متعلق ب"أخذنا" تعلق المفعول بعامله. و"من" زائدة في الإثبات على رأي الأخفش والكوفيين وهو الراجح.
وقد بينته عند قوله تعالى: ﴿فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل﴾ [الأنعام:٩٩]، فإن ﴿النخل﴾ معطوف على ﴿خضرا﴾ بزيادة "من" ولولا اعتبار الزيادة لما استقام الإعراب إلا بكلفة، وفائدة "من" الزائدة في الكلام أن أصلها التبعيض المجازي على وجه التمليح كأنه يقول: نأخذ بعضه.
و ﴿ الوتين﴾ : عرق معلق به القلب ويسمى النياط، وهو الذي يسقي الجسد بالدم ولذلك يقال له: نهر الجسد، وهو إذا قطع مات صاحبه وهو يقطع عند نحر الجزور.
فقطع الوتين من أحوال الجزور ونحرها، فشبه عقاب من يفرض تقوله على الله بجزور تنحر فيقطع وتينها.
ولم أقف على أن العرب كانوا يكنون عن الإهلاك بقطع الوتين، فهذا من مبتكرات القرآن.
و ﴿منه﴾ صفة للوتين، أو متعلق ب"قطعنا" أي أنزلناه منه.". (١)

٣٦-"كان وعده مفعولا﴾

الاستفهام ب"كيف" مستعمل في التعجيز والتوبيخ وهو متفرع بالفاء على ما تضمنه الخطاب السابق من التهديد على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وما أدمج فيه من التسجيل بأن الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد عليهم فليس بعد الشهادة إلا المؤاخذة بما شهد به. وقد انتقل بهم من التهديد بالأخذ في الدنيا المستفاد من تمثيل حالهم بحال فرعون مع موسى إلى الوعيد بعقاب أشد وهو عذاب يوم القيامة وقد نشأ هذا الاستفهام عن اعتبارهم أهل اتعاظ وخوف من الوعيد بما حل بأمثالهم مما شأنه أن يثير فيهم تفكيرا من النجاة من الوقوع فيما هددوا به، وأنهم إن كانوا أهل جلادة على تحمل عذاب الدنيا فماذا يصنعون في اتقاء عذاب الآخرة، فدلت فاء التفريع واسم الاستفهام على هذا المعنى.
فالمعنى: هبكم أقدمتم على تحمل عذاب الدنيا فكيف تتقون عذاب الآخرة، ففعل الشرط من قوله: ﴿إن كفرتم﴾ مستعمل في معنى الدوام على الكفر لأن ما يقتضيه الشرط من الاستقبال قرينة على إرادة معنى الدوام من فعل ﴿كفرتم﴾ وإلا فإن كفرهم حاصل من قبل نزول هذه الآية.
و ﴿يوما﴾ منصوب على المفعول به لـ ﴿تتقون﴾ . واتقاء اليوم اتقاء ما يقع فيه من عذاب أي على الكفر.
ووصف اليوم بأنه ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ وصف له باعتبار ما يقع فيه من الأهوال والأحزان، لأنه شاع أن الهم مما يسرع به الشيب فلما أريد وصفهم هم ذلك اليوم بالشدة البالغة أقواها أسند إليه يشيب الولدان الذين شعرهم في أول سواده.
وهذه مبالغة عجيبة وهي من مبتكرات القرآن فيما أحسب، لأني م أر هذا المعنى في كلام العرب وأما البيت الذي يذكر في شواهد النحو وهو:
إذم والله نرميهم بحرب ... تشيب الطفل من قبل المشيب

(١) التحرير والتنوير ٢٩/١٣٥

فلا ثبوت لنسبته إلى من كانوا قبل نزول القرآن ولا يعرف قائله، ونسبه بعض المؤلفين إلى حسان بن ثابت. وقال العيني: لم أجده في ديوانه. وقد أخذ المعنى الصمة بن عبد الله القشيري في قوله:

دعاني من نجد فإن سنينه ... لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

وهو من شعراء الدولة الأموية وإسناد ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ إلى اليوم مجاز عقلي". (١)

٣٧-"إنما هو فرت من قسورة. فقال: أفرت؟ قلت: نعم قال: فمستنفرة إذن، فكسر الفاء.

و ﴿قسورة﴾ قيل هو اسم جمع قسور وهو الرامي، أو هو جمع على خلاف القياس إذ ليس قياس فعلل أن يجمع على فعللة. وهذا تأويل جمهور المفسرين عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهما فيكون التشبيه جاريا على مراعاة الحالة المشهورة في كلام العرب.

وقيل: القسورة مفرد، وهو الأسد، وهذا مروي عن أبي هريرة وزيد بن أسلم وقال ابن عباس: إنه الأسد بالحبشية، فيكون اختلاف قول ابن عباس اختلافا لفظيا، وعنه: أنه أنكر أن يكون قسور اسم الأسد، فلعله أراد أنه ليس في أصل العربية. وقد عده ابن السبكي في الألفاظ الواردة في القرآن بغير لغة العرب في أبيات ذكر فيها ذلك، وقال ابن سيده: القسور الأسد والقسورة كذلك، أنثوه كما قالوا: أسامة، وعلى هذا فهو تشبيه مبتكر لحالة إعراض مخلوط برعب مما تضمنته قوارع القرآن فاجتمع في هذه الجملة تمثيلان.

وإيثار لفظ ﴿قسورة﴾ هنا لصلاحيته للتشبيهين مع الرعاية على الفاصلة.

[٥٢] ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ .

إضراب انتقالي لذكر حالة أخرى من أحوال عنادهم إذ قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية وغيرهما من كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم: لا نؤمن لك حتى يأتي إلى كل رجل منا كتاب فيه من الله إلى فلان بن فلان، وهذا من أفانين تكذيبهم بالقرآن أنه منزل من الله.

وجمع "صحف" إما لأنهم سألوا أن يكون كل أمر أو نهي تأتي الواحد منهم في شأن صحيفة باسمه وكانوا جماعة متفقين جمع لذلك فكأن الصحف جميعها جاءت لكل امرئ منهم.

والمنشرة: المفتوحة المقروءة أي لا نكتفي بصحيفة مطوية لا نعلم ما كتب فيها و ﴿منشرة﴾ مبالغة في منشورة. والمبالغة واردة على ما يقتضيه فعل "نشر" المجرد من كون الكتاب مفتوحا واضحا من الصحف المتعارفة. وفي حديث الرجم فنشروا التوراة.

[٥٣] ﴿كلا بل لا يخافون الآخرة﴾ .

﴿كلا﴾ إبطال لظاهر كلامهم ومرادهم منه وردع عن ذلك، أي لا يكون لهم ذلك.". (٢)

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥٦/٢٩

(٢) التحرير والتنوير ٣٠٧/٢٩

٣٨-"وقد عرفه العرب وذكره شعراء العرب في طيب الرائحة.
أي يمزجون الخمر بالماء المنقوع فيه الزنجبيل لطيب رائحته وحس طعمه.
وانتصب ﴿عينا﴾ على البدل من ﴿زنجبيلا﴾ كما تقدم في قوله: ﴿كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها عباد الله﴾ [الانسان:٥-٦].
ومعنى كون الزنجبيل عينا: أن منقوعة أو الشراب المستخرج من كثير كالعين على نحو قوله تعالى: ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ [محمد: ١٥]، أي هو كثير جدا وكان يعرف في الدنيا بالعزة.
و ﴿سلسبيل﴾ : وصف قبل مشتق من السلاسة وهي السهولة واللين فيقال: ماء سلسل، أي عذب بارد قيل زيدت فيه الباء والياء أي زيدتا في أصل الوضع على غير قياس.
قال التبريزي في شرح الحماسة في قول البعيث بن حريث:
خيال لأم السلسبيل ودونها ... مسيرة شهر للبريد المذبذب
قال أبو العلاء: السلسبيل الماء السهل المساغ. وعندي أن هذا الوصف ركب من مادتي السلاسلة والسبالة، يقال: سبلت السماء، إذا أمطرت، فسبيل فعيل بمعنى مفعول، ركب من كلمتي السلاسلة والسبيل لإرادة سهولة شربه ووفرة جريه. وهذا من الاشتقاق الأكبر وليس اشتقاق تصريفي.
فهذا وصف من لغة العرب عند محققي أهل اللغة. وقال ابن الإعرابي: لم اسمع هذه اللفظة إلا في القرآن، فهو عنده من مبتكرات القرآن الجارية على أساليب الكلام العربي، وفي حاشية الهمذاني على الكشاف نسبة بيت البعث المذكور آنفا مع بيتين بعده إلى أمية بن أبي الصلت وهو عزو غريب لم يقله غيره.
ومعنى ﴿تسمى﴾ على هذا الوجه، أنها توصف بهذا الوصف حتى صار كالعلم لها كما قال تعالى: ﴿ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ [لنجم: ٢٧] أي يصفونهم بأنهم إناث، ومنه قوله تعالى: ﴿هل تعلم له سميا﴾ [مريم: ٦٥] أي لا مثيل له. فليس المراد أنه علم.
ومن المفسرين من جعل التسمية على ظاهرها وجعل ﴿سلسبيلا﴾ علما على هذه العين، وهو أنسب بقوله تعالى: ﴿تسمى﴾ . وعلى قول ابن الأعرابي والجمهور: لا". [١]

٣٩-"والمراد به هنا: النبات الذي لا يؤكل حبه بل الذي ينتفع بذاته وهو ما تأكله الأنعام والدواب مثل التبن والقرط والفصفصة والحشيش وغير ذلك.
وجعلت الجنات مفعولا ل"نخرج" على تقدير مضاف، أي نخل جنات أو شجر جنات، لأن الجنات جمع جنة وهي قطعة من الأرض المغروسة نخلا أو نخلا وكرما، أو بجميع الشجر المثمر مثل التين والرمان كما جاء في مواضع من القرآن، وهي استعمالات مختلفة باختلاف المنابت.

(١) التحرير والتنوير ٣٦٧/٢٩

ووجه إيثار لفظ ﴿جنات﴾ أن فيه إيماء إلى إتمام المنة لأنهم كانوا يحبون الجنات والحدائق لما فيها من التنعم بالظلال والثمار والمياه وجمال المنظر، ولذلك أتبعت بوصف ﴿ألفافا﴾ لأنه يزيدها حسنا، وإن كان الفلاحون عندنا يفضلون التباعد بين الأشجار لأن ذلك أوفر لكمية الثمار لأن تباعدها أسعد لها بتخلل الهواء وشعاع الشمس، لكن مساق الآية هنا الامتنان بما فيه نعيم الناس.

وألفاف: اسم جمع لا واحد له من لفظه وهو مثل أو زاع وأخياف، أي كل جنة ملتفة، أي ملتفة الشجر بعضه ببعض. فوصف الجنة بألفاف مبني على المجاز العقلي لأن الالتفاف في أشجارها ولكن لما كانت الأشجار لا يلتف بعضها على بعض في الغالب إلا إذا جمعتها جنة أسند ألفاف إلى جنات بطريق الوصف. ولعله من مبتكرات القرآن إذا لم أر شاهدا عليه من كلام العرب قبل القرآن.

وقيل ألفاف جمع لف بكسر اللام بوزن جذع، أي كل جنة منها لف بكسر اللام ولم يأتوا بشاهد عليه. وذكر في "الكشاف" أن صاحب "الإقليد"١ ذكر بيتا أنشده الحسن بن علي الطوسي٢ ولم يعزه إلى قائل. وفي "الكشاف" زعم ابن قتيبة٣: أنه لفاء ولف ثم ألفاف "أي أن ألفافا جمع الجمع" قال "وما أظنه واجدا له نظيرا" أي لا يجمع

ـ

١ الإقليد اسم تفسير كذا قال القزويني في "الكشف" على "الكشاف" ورأيت في طرة نسخة فيه أن الإقليد لأبي الفتح الهمذاني ولم أعثر على ترجمة مؤلفة.

٢ الحسن بن علي الطوسي لعله الوزير الملقب نظام الملك والبيت هو:

جنة لف وعيش مغدق ... وندامى كلهم بيض زهر

٣ لعله ذكر ذلك في غير كتاب أدب الكتاب فإني لم أجده فيه.". (١)

٤٠-"والفاء لتفريغ التوبيخ والتعجيز على الحجج المتقدمة المثبتة أن القرآن لا يجوز أن يكون كلام كاهن وأنه وحي من الله بواسطة الملك.

وهذا من اقتران الجملة المعترضة بالفاء كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فمن شاء ذكره﴾ في سورة عبس [١٢].

و"أين" اسم استفهام عن المكان. وهو استفهام إنكاري عن مكان ذهابهم، أي طريق ضلالهم، تمثيلا لحالهم في سلوك طرق الباطل بحال من ظل الطريق الجادة فيسأله السائل منكرا عليه سلوكه، أي أعدل عن هذا الطريق فإنه مضلة.

ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملا في التعجيز عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الطعن في القرآن.

والمعنى: أنه قد سدت عليكم طرق بهتانكم إذ اتضح بالحجة الدامغة بطلان ادعاءكم أن القرآن كلام مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدعون بعد ذلك.

واعلم أن جملة "أين تذهبون" قد أرسلت مثلا، ولعله من مبتكرات القرآن وكنت رأيت في كلام بعضهم: أين يذهب بك،

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/٣٠

لمن كان في خطأ وعماية.

[٢٧-٢٨] ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين، لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ .

بعد أن أفاقهم من ضلالتهم أرشدهم إلى حقيقة القرآن بقوله: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ ، وهذه الجملة تتنزل منزلة المؤكدة لجملة ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ [التكوير:٢٥] ولذلك جردت على العاطف، ذلك أن القصر المستفاد من النفي والاستثناء في قوله: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ يفيد قصر القرآن على صفة الذكر، أي لا غير ذلك وهو قصر إضافي قصد منه إبطال أن يكون قول شاعر، أو قول كاهن، أو قول مجنون، فمن جملة ما أفاده القصر نفي أن يكون قول شيطان رجيم، وبذلك كان فيه تأكيد لجملة ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ .

والذكر اسم يجمع معاني الدعاء والوعظ بحسن الأعمال والزجر عن الباطل وعن الضلال، أي ما القرآن إلا تذكير لجميع الناس ينتفعون به في صلاح اعتقادهم، وطاعة الله ربهم، وتهذيب أخلاقهم، وآداب بعضهم مع بعض، والمحافظة على حقوقهم، ودوام انتظام جماعتهم، وكيف يعاملون غيرهم من الأمم الذين لم يتبعوه.". (١)

٤١-"وأحسب أن استعارة الثقب لبروز شعاع النجم في ظلمة الليل من **مبتكرات** القرآن ولم يرد في كلام العرب قبل القرآن. وقد سبق قوله تعالى: ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ [في سورة الصافات: ١٠]، ووقع في تفسير القرطبي: والعرب تقول اثقب نارك، أي أضئها، وساق بيتا شاهدا على ذلك ولم يعزه إلى قائل.

والتعريف في ﴿النجم﴾ يجوز أن يكون تعريف الجنس كقول النابغة:

أقول والنجم قد مالت أواخره... البيت

فيستغرق جميع النجوم استغراقا حقيقيا وكلها ثاقب فكأنه قيل، والنجوم، إلا أن صيغة الإفراد في قوله: ﴿الثاقب﴾ ظاهر في إرادة فرد معين من النجوم، ويجوز أن يكون التعريف للعهد إشارة إلى نجم معروف يطلق عليه اسم النجم غالبا، أي والنجم الذي هو طارق.

ويناسب أن يكون نجما يطلع في أوائل ظلمة الليل وهي الوقت المعهود لطروق الطارقين من السائرين. ولعل الطارق هو النجم الذي يسمى الشاهد، وهو نجم يظهر عقب غروب الشمس، وبه سميت صلاة المغرب صلاة الشاهد.

روى النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذه الصلاة أي صلاة العصر فرضت على من كان قبلكم فضيعوها إلى قوله ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد" .

وقيل أريد ب ﴿الطارق﴾ نوع الشهب روي عن جابر بن زيد: أن النجم الطارق هو كوكب زحل لأنه مبرز على الكواكب بقوة شعاعه. وعنه: أنه الثريا لأن العرب تطلق عليها النجم علما بالغلبة ، وعن ابن عباس: أنه نجوم برج الجدي، ولعل ذلك النجم كان معهودا عند العرب واشتهر في ذلك في نجم الثريا.

وقيل: أريد بالطارق نوع الشهب أي لأن الشهاب ينقض فيلوح كأنه يجري في السماء كما يسير السائر الذي أدركه الليل.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤٦/٣٠

فالتعريف في لفظ ﴿النجم﴾ للاستغراق، وخص عمومه بوقوعه خبرا عن ضمير ﴿الطارق﴾ أي أن الشهاب عند انقضاضه يرى سائرا بسرعة ثم يغيب عن النظر فيلوح كأنه استقر فأشبه إسراع السائر ليلا ليبلغ إلى أحياء المعمورة فإذا بلغها وقف سيره.

وجواب القسم هو قوله: ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ جعل كناية تلويحية رمزية عن المقصود. وهو إثبات البعث فهو كالدليل على إثباته، فإن إقامة الحافظ تستلزم شيئا". (١)

٤٢-"وقرأ الجمهور "لا تكرمون، ولا تحضون، وتأكلون، وتحبون" بالمثناة الفوقية على الخطاب بطريقة الالتفات من الغيبة في قوله: ﴿فأما الأنسان إذا ما ابتلاه ربه﴾ الآيات لقصد مواجهتهم بالتوبيخ، وهو بالمواجهة أوقع منه بالغيبة. وقرأها أبو عمرو ويعقوب بالمثناة التحتية على الغيبة لتعريف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بذلك فضحا لدخائلهم على نحو قوله تعالى: ﴿يقول أهلكت مالا لبدا، أيحسب أن لم يره أحد﴾ [البلد:٦-٧].

وقرأ الجمهور ﴿ولا تحاضون﴾ بضم الحاء مضارع حض، وقرأه عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ﴿تحاضون﴾ بفتح الحاء وألف بعدها مضارع حاض بعضهم بعضا، وأصله تتحاضون فحذفت إحدى التاءين اختصارا للتخفيف أي تتمالؤون على ترك الحض على الإطعام.

والتراث: المال الموروث، أي الذي يخلفه الرجل بعد موته لوارثه وأصله: وراث بواو في أوله بوزن فعال من مادة ورث بمعنى مفعول مثل الدقاق، والحطام، أبدلت واوه تاء على غير قياس كما فعلوا في تجاه، وتخمة، وتهمة، وتقاة وأشباهها.

والأكل: مستعار للانتفاع بالشيء انتفاعا لا يبقي منه شيئا. وأحسب أن هذه الاستعارة من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثلها في كلام العرب.

وتعريف التراث عوض عن المضاف إليه. أي تراث اليتامى وكذلك كان أهل الجاهلية يمنعون النساء والصبيان من أموال مورثيهم.

وأشعر قوله: ﴿تأكلون﴾ بأن المراد التراث الذي لا حق لهم فيه، ومنه يظهر وجه إيثار لفظ التراث دون إن يقال: وتأكلون المال لأن التراث مال مات صاحبه وأكله يقتضي أن يستحق ذلك المال عاجز عن الذب عن ماله لصغر أو أنوثة.

واللم: الجمع، ووصف الأكل به وصف بالمصدر للمبالغة، أي أكلا جامعا مال الوارثين إلى مال الآكل كقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ [النساء: ٢].

والجم: الكثير، يقال: جم الماء في الحوض، إذا كثر، وبئر جموم بفتح الجيم: كثيرة الماء، أي حبا كثيرا، ووصف الحب بالكثرة مراد به الشدة لأن الحب معنى من المعاني النفسية لا يوصف بالكثرة التي هي وفرة عدد أفراد الجنس.

فالجم مستعار لمعنى القوي الشديد، أي حبا مفرطا، وذلك محل ذم حب المال، لأن إفراد حبه يوقع في الحرص على اكتسابه

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣١/٣٠

بالوسائل غير الحق. كالغصب والاختلاس". (١)

٤٣-"فالتسوية حاصلة من وقت تمام خلقة الجنين من أول أطوار الصبا إذ التسوية تعديل الخلقة وإيجاد القوى الجسدية والعقلية ثم تزداد كيفية القوى فيحصل الإلهام.

والإلهام: مصدر ألهم، وهو فعل متعد بالهمزة ولكن المجرد منه ممات الإلهام اسم قليل الورود في كلام العرب ولم يذكر أهل اللغة شاهدا له من كلام العرب.

ويطلق الإلهام إطلاقا خاصا على حدوث علم في النفس بدون تعليم ولا تجربة ولا تفكير فهو علم يحصل من غير دليل سواء ما كان منه وجدانيا كالانسياق إلى المعلومات الضرورية والوجدانية، وما كان منه عن دليل كالتجريبيات والأمور الفكرية النظرية.

وإيثار الفعل هنا ليشمل جميع علوم الإنسان، قال الراغب: الإلهام: إيقاع الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملأ الأعلى اه. ولذلك فهذا اللفظ إن لم يكن من مبتكرات القرآن يكن مما أحياه القرآن لأنه اسم دقيق الدلالة على المعاني النفسية وقليل رواج أمثال ذلك في اللغة قبل الإسلام لقلة خطور مثل تلك المعاني في مخاطبات عامة العرب، وهو مشتق من اللهم وهو البلع دفعة، يقال: لهم كفرح، وأما إطلاق الإلهام على علم يحصل للنفس بدون مستند فهو إطلاق اصطلاحي للصوفية.

والمعنى هنا: أن من آثار تسوية النفس إدراك العلوم الأولية والإدراك الضروري المدرج ابتداء من الانسياق الجبلي نحو الأمور النافعة كطلب الرضيع الثدي أول مرة، ومنه اتقاء الضار كالفرار مما يكره، إلى أن يبلغ ذلك إلى أول مراتب الاكتساب بالنظر العقلي، وكل ذلك إلهام.

وتعدية الإلهام إلى الفجور والتقوى في هذه الآية مع أن الله أعلم الناس بما هو فجور وما هو تقوى بواسطة الرسل باعتبار أنه لولا ما أودع الله في النفوس من إدراك المعلومات على اختلاف مراتبها لما فهموا ما تدعوهم إليه الشرائع الإلهية، فلولا العقول لما تيسر إفهام الإنسان الفجور والتقوى، والعقاب والثواب.

وتقديم الفجور على التقوى مراعى فيه أحوال المخاطبين بهذه السورة وهم المشركون، وأكثر أعمالهم فجور ولا تقوى لهم، والتقوى صفة أعمال المسلمين وهم قليل يومئذ.

ومجيء فعل "ألهمها" بصيغة الإسناد إلى ضمير مذكر باعتبار أن تأنيث مصدر". (٢)

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩٥/٣٠

(٢) التحرير والتنوير ٣٢٦/٣٠